بحوث في أصول التفسير ومناهجه

تأليف

أ. د / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
كلية المعلمين بالرياض

مكتبة التوبة

بحوث في

أصول التفسير ومناهجه

بحوث في
أصول التفسير ومناهجه

تأليف

أ. د / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
كلية المعلمين بالرياض

مكتبة
التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»(١). «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»(٢). «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»(٣).. أمَّا بعــد:

فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وإنَّ من خير ما تُصْرَفُ فيه الجهود، وتُبْذَلُ فيه الطاقات هو نشر هذا الدين و بيانه للناس، بإسلوب مُيَسَّر، يُقرِّبُ لهم البعيد ويجلو لهم القريب.

وحين أسْنِدُ إليَّ تدريس مقرر «أصول التفسير» في كلية المعلمين بالرياض وقد شاركت من قبلُ في وضع مفرداته لم أجد كتاباً يجمع أبوابه، بل منها ما لم يُكتب فيه كتابة وافية فرأيت أنَّ الحاجة ماسة إلى

كتاب التفسير والمفسرون للذهبي أحسن وأعم.

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية : ١.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٧٠ــ٧١.

وضع كتاب في أيدي الطلاب يجمع لهم الشتات و يكون لهم مرجعا يجمع عناصر الدرس، و يُعينهم على التحصيل، و يفتح الباب لمن أراد ان يخوض العباب الزاخر.

واسأل الله أنْ يجعله خالصاً لوجهه إنَّه سميع مجيب..

المؤلف

أولاً: تعريف علم أصول التفسير وبيان مكانته وفضله

أ ـ تعريفـه:

الأصـول: لغة جمع أصل، وهو في اللغة عبارة عما يُفتقَر إليه ولا يَفْتقِر إلى غيـره، وفي الشرع عبارة عمـا يُـبْـنَى عليه غيره ولا يُبْنَى هو على غيره، والأصلُ ما يَثْبت حكمه بنفسه و يُبنى عليه غيره(١).

التفسير لغـة:

اختلف علماء اللغة في لفظ (التفسير):

١ ـ فقيـل: هو (تفعيل) من (الفَسْر) بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المُشْكِل(٢). قال تعالى: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا»(٣) أي تفصيلا (٤).

٢ ـ وقيـل: هو (مقلوب) من (سَفَرَ) ومعناه أيضا: الكشف. يقال: سَفَرَت المرأةُ سُفُورا إذا ألقَتْ خِمارَها عن وجهها وهي سافرة. وأسفر الصُبْحُ: أضاء. وإنما بَنَوا «فَسَرَ» على التفعيل فقالوا «تفسير» للتكثير(٥).

وقال الراغب الاصفهاني: (الفَسْرُ) و(السَفْرُ) يتقاربُ معناهما كتقارب لفظيهما لكن جُعِلَ الفَسْرُ لإظهار المعنى المعقول.. وجعل السَفْر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سَفَرت المرأةُ عن وجهها وأسفر الصبح(٦).

---

(١) التعريفات: الجرجاني، ص: ٢٢.
(٢) تهذيب اللغة: الازهري، جـ: ١٢ص: ٤٠٧.
(٣) سورة الفرقان. الآية: ٣٣.
(٤) البرهان في علوم القرآن: الزركشي، جـ: ١ص: ١٤٨.
(٥) المرجع السابق: جـ: ١ص: ١٤٧.
(٦) المرجع السابق: جـ: ٢ص: ١٤٨.

التفسير اصطلاحا:

والتفسيرُ اصطلاحا: عِلْمٌ يُفهم به كتابُ الله تعالى المُنَزَّلُ على نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم و بيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِه(١).

وقال أبو حيان: التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك(٢).

الفرق بين التفسير والتأويل:(٣).

والتأويل لغة من الأوْل، وأوَّلَ الكلامَ وتأوَّلَه: دَبَّره وقَدَّره، وأوَّلَه وتأوَّلَه: فَسَّره(٤).

والتأويل(٥) في اصطلاح المفسرين فيه خلاف:

فقالت طائفة: ان التفسير والتأويل مترادفان:

قال ابو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: «التأويل والمعنى والتفسير واحد»(٦).

ونسب السيوطي هذا القول الى ابي عبيد وطائفة ومنه دعوة رسول الله

---

(١) البرهان في علوم القرآن: للزركشي جـ: ١ص: ١٣ وانظر الاتقان للسيوطي جـ: ٢ص: ١٧٤.

(٢) البحر المحيط: لابي حيان الاندلسي جـ: ١ص: ١٣ــ١٤.

(٣) للشيخ حامد العمادي (مفتي دمشق) رسالة لطيفة بعنوان «التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل» أقوم بتحقيقها.

(٤) لسان العرب: لابن منظور مادة (أوَلَ) جـ: ١١ص: ٣٣.

(٥) لمن اراد مزيد البيان عن التأويل فلينظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية جـ: ١ص: ٢٠١ــ٢٠٨ وجـ: ٥ص: ٢٣٧ وص: ٣٨١ــ٣٨٤ وكتابه «الاكليل» ضمن مجموع الفتاوى جـ: ١٣ ص: ٢٨٨ــ٢٩٤.

(٦) الاتقان: السيوطي، جـ: ١ص: ١٧٣.

صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأو يل(١).

وقول ابن عباس رضي الله عنهما «انا ممن يعلم تأو يله»(٢).

وقول مجاهد «الراسخون في العلم يعلمون تأو يله»(٣) يعنى القرآن وقول ابن جرير الطبري في تفسيره: «القول في تأو يل قوله تعالى..» وقوله «واختلف أهل التأو يل في هذه الآية». فإن المراد في التأو يل هنا التفسير.

وقالت طائفة: إنَّ بين التفسير والتأويل فرقاً ثم اختلفوا:

١ ـــ فمنهم من يرى أن الاختلاف بالعموم والخصوص.

أ ـــ فقال بعضهم: إن التفسير أعَمُّ من التأويل. قال الراغب الأصفهاني: «التفسير أعمُّ من التأويل وأكثر استعماله في الألفظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجُمَل كتأويل الرؤيا. وأكثر ما يستعمل ـــ يعني التأويل ـــ في الكُتب الإلهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها»(٤).

ب ـــ وقال بعضهم إنَّ التأويل أعمُّ لجريانه في الكلام وغيره يُقال تأويل الكلام كذا، وتأويل الأمر كذا. أي ما يؤلان إليه.. بخلاف التفسير فإنه يَخُصُّ الكلام ومدلوله يُقال تفسير الكلام كذا والقضية كذا(٥).

٢ ـــ ومنهم من يرى أنَّ الاختلاف بينهما بالتباين. ثم اختلفوا:

---

(١) رواه الأمام احمد في مسنده: جـ: ١ص: ٢٦٦ والطبراني في الكبير (١٠٦١٤) و(١٢٥٠٦).

(٢) اخرجه الطبري في تفسيره جـ: ٦ص: ٢٠٣ رقم ٦٦٣٢.

(٣) تفسير مجاهد جـ: ١ص: ١٢٢.

(٤) الإتقان: السيوطي: جـ: ٢ص: ١٧٣.

(٥) الإكسير في علم التفسير: الطوفي الصرصري ص: ٢.

أ ـــ فقيل: التفسير هو القطع بأنَّ مُرادَ الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع. وهذا قول الماتريدي(١).

ب ـــ ومنهم من قال التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية.

قال الخازن: «الفرق بين التفسير والتأويل أنَّ التفسير يتوقف على النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح»(٢) مثال التفسير قوله تعالى: «وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا»(٣) هما الأوس والخزرج، وقوله تعالى «سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ»(٤) هم فارس واهل اليمن، وقوله تعالى «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا»(٥) هو الأخنس بن شَريق، وقوله تعالى «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ»(٦) هو صهيب، فهذا ونحوه من التفسير ولا يتكلم فيه إلا بالسماع ومثال التأويل قوله تعالى «ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا»(٧)، قال بعضهم: أي شبانا وشيوخا. وقال آخرون أي فقراء واغنياء، وقال قوم أي عزبانا ومتأهلين، وقال جماعة أي اصحاء ومرضى، وقال طائفة أي نشاطا وغير نشاط، فهذا من التأويل، وكله جائز مقبول ولا بأس بالقول به بما يوافق الأصول ولم يخالف العقول(٨).

جـ ـــ وقيل علم التفسير للخلق وعلم التأويل للحق، قال تعالى: «وَمَا

---

(١) الإتقان: السيوطي جـ: ٢ص: ١٧٣.
(٢) تفسير الخازن: جـ ١ ص١٠.
(٣) سورة الحجرات: من الآية: ٩.
(٤) سورة الفتح: من الآية: ١٦.
(٥) سورة البقرة: من الآية: ٢٠٤.
(٦) سورة البقرة: من الآية: ٢٠٧.
(٧) سورة التوبة: من الآية: ٤١.
(٨) التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل: حامد العمادي صفحة (٦) (مخطوطة).

يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ »(١).

وهو فيما يرجع الى الغيب الذي أبهمه الله تعالى كالساعة متى وقوعها واشراطها ومتى ظهورها.

د ـ وقال أبو طالب الثعلبي التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصَيِّب بالمطر والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأَوْلِ وهو الرجوع لعاقبة الامر، فالتأويل إخبارٌ عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى « إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ »(٢) تفسيره: أنَّه من الرَّصْد يُقال: رصدته رقبته والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبَة والاستعداد للعرض عليه»(٣).

ج ـ تعريف أصول التفسير بمعناه المركب:

وأما (أصول التفسير) اصطلاحا: فهي القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير وتشمل ما يتعلق بالمفسر من شروط وآداب وما يتعلق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك.

أو هو العلم الذي يُتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن و يكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في تفسيره.

وهو علم واحد من علوم كثيرة أنشئت لخدمة القرآن الكريم كعلم التجويد والقراءات والرسم وغيرها.

---

(١) سورة آل عمران: من الآية: ٧.

(٢) سورة الفجر: الآية: ١٤.

(٣) الاتقان: السيوطي، جـ: ٢ص: ١٧٣.

كالرسم العثماني

وله صلة وثيقة بعلوم القرآن، فهو من أهمها وأبرزها وقد يطلق على علوم القرآن الكريم (أصول التفسير) من باب إطلاق الجزء على الكل وإظهاراً لمكانته فيها، وسُمِّيَ بأصول التفسير لأنه يُبنى عليها علمُ التفسير حسب قواعده وشروطه.

غاية أصول التفسير:

وغاية هذا العلم ضبطُ التفسير بوضع القواعد الصحيحة والطرق السليمة والمناهج السديدة للتفسير، والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمُفَسِّر.

وكما أنَّ غاية التجويد النطق الصحيح لالفاظ القرآن فإن غاية أصول التفسير الفهم الصحيح لمعانيه.

فائدة أصول التفسير:

ولهذا العلم فوائد عديدة ليس من السهل حصرها ومن أهمها:

١ ــ التزود بالثقافة العالية من المعارف القيمة والتسلح بسلاح العلم والمعرفة للدفاع عن القرآن الكريم ضد الأعداء الذين يبذلون وسعهم لتحريف معاني القرآن والإلحاد فيه.

٢ ــ معرفة الطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم وما يُقبل منها وما يُرد ومعرفة من يصلح تلقي التفسير عنه، ومن لا يصح تفسيره للقرآن.

٣ ــ معرفة القواعد التى تُعِينُ على فهم كتاب الله تعالى الفهم الصحيح حتى يَبني المسلمُ عقيدته على قاعدة صحيحة ثابتة.

٤ ــ الإطلاع على الجهود العظيمة التي بذلها علماء السلف للمحافظة على

القرآن الكريم لفظاً ومعنى، ومن ثَمَّ الإقتداء بهم في ذلك والسير على نهجهم.

موضوع أصول التفسير:

إعلم أنَّ موضوع كل علم هو الشيء الذي يبحث ذلك العلم عن أحواله العارضة لذاته(١). وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ أصول التفسير تبحث في علم التفسير من حيث تحديد قواعده وأسسه وشروط تناوله وطرقه ومناهجه وما إلى ذلك. وموضوع علم التفسير هو القرآن الكريم من حيث بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.

فضل هذا العلم ومكانته:

لهذا العلم مكانة كبيرة وشرف عظيم ذلك أنَّ شرف العلم من شرف المعلوم وأصول التفسير تبحث في علم التفسير وموضوع هذا العلم هو القرآن الكريم وهو خير الكلام لأنه كلام الله تعالى، فلا عجب أن تكون أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها مكانة وأكثرها فضلا.

---

(١) الأحكام في أصول الأحكام: الآمدى جـ: ١ص: ٧.

نشأة علم التفسير ومراحله

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يبعث لكل أمة نبياً بلسان قومه وأن يكون كتابه بلسانهم، قال تعالى: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ »(١).

وظهر محمد صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب وأنزل الله عليه القرآن بلسان قومه اللسان العربي « إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ »(٢) وقال تعالى «نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ »(٣).

وكان القوم عَرَباً خلصا يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي، غير أنَّ القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه وإن كان كل منهم يدرك منه ما يوقفه على إعجازه، فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى فإن أشكلَ عليهم لفظ أو غمض عليهم مرمى ولم يجدوا مَنْ يفسره لهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فبينه لهم. و بهذا نشأ علم التفسير ثم مَرَّ بمراحل أبرزها:

المرحلة الأولى: «التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم»

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن « إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ

---

(١) سورة ابراهيم: الآية: ٤.

(٢) سورة يوسف: الآية: ٢.

(٣) سورة الشعراء: الآيات: ١٩٣ــ١٩٥.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(١)، كما تكفل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع القرآن في صدره ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾(٢) ثم كلف الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام ان يبين لهم القرآن وان يفسره لهم قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣).

ولذا فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أشكل عليهم فهمه من القرآن فيجدون الجواب الشافي.

وقد اختلف العلماء في مقدار ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن إلى قولين:

الأول: أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بَيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، وهذا قول ابن تيمية وغيره حيث قال: «يجب أن يُعلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بَيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بَيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٣) يتناول هذا وهذا(٤).

واستدلوا بأدلة منها:

١ ـ آية النحل ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة الحجر: الآية: ٩.

(٢) سورة القيامة: الآيتين: ١٦ـ١٧.

(٣) سورة النحل: الآية: ٤٤.

(٤) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية، تحقيق د. عدنان زرزور ص: ٣٥.

(٥) سورة النحل: الآية: ٤٤.

والبيان يتناول الألفاظ والمعاني وكما أنه بيَّن ألفاظه كلها فقد بيَّن معانيه كلها.

٢ ــ حديث أبي عبد الرحمن السُّلمِي «حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل: فتعلمنا القرآن، والعمل جميعا»(١).

٣ ــ وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا»(٢) وما ورد أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما أقام على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمان سنين ذكره مالك(٣) قالوا ولو كان المراد مجرد الحفظ لما احتاج إلا لزمن يسير فدَلَّ هذا على أنَّ المراد فهم المعاني.

٤ ــ وقالوا: انَّ كل كلام المقصود منه فهم معانيه، دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فَنٍّ من العلم كالطبِّ والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم و به نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم(٤).

الثاني: قالت طائفة: ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُبيِّن لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات واستدلوا بأدلة منها:(٥).

---

(١) تفسير الطبري جـ: ١ص: ٨٠ وقال الاستاذ احمد شاكر: «هذا إسناد صحيح متصل وعَلَّلَ ذلك بأن إبهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثاً مسنداً متصلاً.

(٢) رواه الامام احمد في مسنده جـ: ٣ص: ١٢٠.

(٣) الموطأ: مالك بن انس جـ: ١ص: ٢٠٥.

(٤) لخصت هذه الادلة من مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص: ٣٥ــ٣٧.

(٥) اورد هذه الادلة الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون جـ: ١ص: ٥١ وما بعدها.

١ ـــ ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إياه جبريل عليه السلام(١). انظر المخطوطة (هذا الحديث فيه علة ولا يحتج به)

٢ ـــ قالوا ان الله لم يأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالنَّصِّ على المراد في الآيات كلها لأجل أنْ يتفكر عباده في كتابه والعلمُ بالمراد فيما لم يُنَص على معناه يُستنبَط بأمارات ودلائل(٢).

٣ ـــ وقالوا لو بيَّنَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم كُلَّ معاني القرآن لَمَا كان لدعائه لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»(٣) فائدة لأن الناس على حَدٍّ سَواء في تأويله فكيف يخص ابن عباس بهذا الدعاء(٤).

الرأي الراجح:

والذي أراه أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين معاني كل الآيات القرآنية لأن:

١ ـــ من الآيات ما يرجع فهمها إلى معرفة كلام العرب والقرآن نزل بلغتهم ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان.

٢ ـــ ومنها ما يتبادر فهمه إلى الأذهان لظهوره وبيانه فلا يحتاج إلى بيان. مثل «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ»(٥) فالمتبادر تحريم الوطء ولا يتبادر إلى الذهن وغيره.

٣ ـــ ومنها ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك من

---

(١) رواه الطبرى في تفسيره جـ: ١ص: ٨٤ وقال في ص٨٩ أنَّ فيه علة لا يجوز معها الاحتجاج به.

(٢) انظر الاتقان: السيوطي جـ: ٢ص: ١٧٤ــ١٧٥.

(٣) رواه الامام احمد في مسنده جـ: ١ص: ٢٦٦ وصححه الالباني شرح الطحاوية ص: ٢٣٤.

(٤) انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي جـ: ١ص: ٣٣.

(٥) سورة النساء: آية ٢٣.

الامور الغيبية التى لم يُطلِعْ الله عليها نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم نفسه فكيف يُبينها لأصحابه وهو لا يعلمها.

٤ ــ ومن الآيات ما لا فائدة في معرفة أكثر من معناها المتبادر ولا طائل في معرفة ما وراء ذلك مثل معرفة لون كلب أصحاب الكهف وعصا موسى عليه السلام من أي الشجر كانت وأنواع الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ومثل هذا لا يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما ذكرت.

وعلى هذا نستطيع الجزم بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر لأصحابه كلَّ آيات القرآن الكريم.

كما انه لا يصح القول بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر لأصحابه إلاّ الآيات القليلة وحديث عائشة رضي الله عنها الذي استدلوا به من رواية محمد بن جعفر الزبيري. وهو حديث معلول لا يحتج به

قال الطبري: «انه ممن لا يُعرف في أهل الآثار»(١) وقال ابن كثير (حديث منكر غريب)(٢). وعلى فرض صحته فقد حمله أبو حيان على مغيبات القرآن وتفسيره لمجمله، ونحوه مما لا سبيل إليه الا بتوقيف من الله تعالى)(٣).

ويكفي في نقض هذا الرأي الروايات الكثيرة في كتب الصحاح المرفوعة للرسول صلى الله عليه وسلم في بيان الكثير وليس القليل من آيات القرآن الكريم.

---

(١) تفسير الطبري جـ: ١ص: ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير جـ: ١ص: ٥.

(٣) البحر المحيط: ابو حيان جـ: ١ص: ١٣.

منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير:

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يُطْنِب في تفسير الآية او يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته ولا ثمرة في إدراكه، فكان جُلُّ تفسيره صلى الله عليه وسلم بياناً لمجمل، أو توضيحا لمشكل، أو تخصيصا لعام، أو تقييداً لمطلق أو بياناً لمعنى لفظ أو متعلقه.

المرحلة الثانية: «التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم»

ذكرنا آنفا أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا عَرَبا خُلَّصاً يفهمون القرآن و يدركون معانيه ومراميه بمقتضى سليقتهم العربية فهماً لا تُعكِّره عُجمة ولا يشوهه شيء من قبح الابتداع وتَحَكّم العقيدة الزائفة(١).

وإذا خفي عليهم معنى أو دَقَّ عليهم مرمى رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فبين لهم ذلك ووضحه، وإن لم يتيسر لهم ذلك رجعوا إلى اجتهادهم وكان التفاوت بينهم واضحاً في هذه الرتبة، فكان بعضهم يرجع إلى بعض، إذ التفاوت بينهم راجع إلى التفاوت في قوة الفهم والإدراك، والتفاوت فيما أحاط بالآية من ظروف وملابسات، بل كانوا يتفاوتون في معرفة المعاني التى وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة(٢) وظهر لآخرين منهم، ولا ضير في هذا فإن اللغة وإنْ أحاط بها مجموع أهلها فإنه لا يُحيط بها كلُّ فرد من أهلها فقد خفي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه معنى الأبّ في قوله تعالى « وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا »(٣).

---

(١) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٦.

(٢) المرجع السابق، جـ: ١ص: ٣٤.

(٣) سورة عبس: الآية: ٣١.

ومعنى التخوف في قوله تعالى «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ »(١) حتى قال له رجل من هذيل التخوف عندنا التَنَقُّص(٢).

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: «كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها»(٣).

وهذا عدي بن حاتم رضي الله عنه لم يفهم المراد بقوله تعالى: «وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ »(٤) فكان يجعل عند رأسه عقالاً أبيض وعقالاً أسود حتى بين له الرسولُ صلى الله عليه وسلم المراد(٥).

ويرجع تفاوتهم في فهم القرآن ـ كما أشرنا ـ إلى أمور عديدة منها:

١ ـــ تفاوتهم في أدوات الفهم كالعلم باللغة فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها مُلِمّاً بغريبها، ومنهم دون ذلك.

٢ ـــ وتفاوتهم في ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحضور مجالسه.

٣ ـــ وتفاوتهم في معرفة أسباب النزول وغيرها مما له تأثير في فهم الآية.

٤ ـــ وتفاوتهم في العلم الشرعي.

٥ ـــ وتفاوتهم في مداركهم العقلية شأنهم شأن غيرهم من البشر، كل هذا وغيره كان من أسباب تفاوتهم في معرفة القرآن وتفسيره، ولذا قال مسروق رحمه الله تعالى: «جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاذ

---

(١) سورة النحل من الآية: ٤٧.
(٢) الموافقات: الشاطبي ج:٢ ص:٨٧ ـ ٨٨.
(٣) الاتقان: السيوطي ج:١ ص:١٤٩.
(٤) سورة البقرة: من الآية: ١٨٧.
(٥) انظر صحيح البخاري ج:٥ ص:١٥٦.

(يعني الغدير) فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهلُ الأرض لأصدرهم»(١).

وقد تميز تفسير الصحابة رضي الله عنهم بمزايا منها:

١ ــ قلة الأخذ بالاسرائيليات وتناولها في التفسير لحرصه صلى الله عليه وسلم على اقتصار أصحابه على نبع الإسلام الصافي الذي لم تكدره الأهواء ولم تَشُبْه الاختلافات والافتراءات يدل على هذا المقصد غضبُه صلى الله عليه وسلم حين رأى في يد عمر رضي الله عنه صحيفة من التوراة(٢).

٢ ــ لم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله، إذ أن بعض الآيات من الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى خوض في تفسيرها لتضلعهم في اللغة ومعرفتهم بأحوال المجتمع آنذاك وغير ذلك من الأسباب.

٣ ــ وقد كانوا لا يتكلفون التفسير ولا يتعمقون فيه تعمقاً مذموماً، فقد كانوا يكتفون في بعض الآيات بالمعنى العام ولا يلتزمون بالتفصيل فيما لا فائدة كبيرة في تفصيله، فيكتفون مثلا بمعرفة أنَّ المراد بقوله تعالى « وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا »(٣) انه تعداد لنِعَمِ الله تعالى على عباده(٤).

٤ ــ قلة تدو ينهم للتفسير وأنَّ أغلب ما روي عنهم كان بالرواية والتلقين وليس بالتدو ين، وإن كان بعض الصحابة يعتني بالتدو ين فقد دَوَّنَ عبد

---

(١) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ١ ص: ٣٦.

(٢) مسند الإمام احمد: جـ٣ ص٣٨٧ والدر المنثور: السيوطي جـ٢ ص٤٨.

(٣) سورة عبس: الآية: ٣١.

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جـ: ١٣ص ٣٧٢.

الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه صحيفته التى يسميها الصادقة و يقول عنها «هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينى و بينه فيها أحد»(١).

وهي موجودة في مسند الامام أحمد(٢) لكن هذا التدو ين كان نادراً.

منهج الصحابة رضي الله عنهم في التفسير:

يقوم منهج الصحابة رضي الله عنهم في التفسير على ثلا ثة أسس:

الأ ول: تفسير القرآن بالقرآن:

فإن من آيات القرآن ما جاء مجملاً في موضع وجاء في موضع آخر مبينا، ومنه ما فيه إيجاز، وما فيه إطناب، ومنه ما فيه عموم وما فيه خصوص، وما فيه اطلاق، وما فيه تقييد، ومثل هذا يُفَسَّرُ بعضه ببعض.

فقصص القرآن مثلا جاءت في بعض المواضع موجزة وجاءت القصة نفسها في موضع آخر مفصلة كقصة آدم وإبليس، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون.

وهذا النوع هو أحسن طرق التفسير كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى(٣).

الثاني: تفسير القرآن بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم:

وإن لم يجد الصحابة رضي الله عنهم تفسير الآية في القرآن رجعوا إلى

---

(١) الطبقات الكبرى: ابن سعد ص: ١٨٩ قسم ٢ ج ١٧ وتقييد العلم: الخطيب البغدادي ص: ٨٤.

(٢) مسند الامام احمد: من ص: ٢٣٥ ج ٩ والجزئين (١٠) و(١١) بكاملهما وج (١٢) إلى ص:٥١.

(٣) مقدمة في اصول التفسير ابن تيمية ص: ٩٣.

الرسول صلى الله عليه وسلم فسألوه عنها فبينها لهم لقوله تعالى: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »(١).

وقد افردت كتب السنة باباً للتفسير بالمأثور ذكرت فيه كثيرا من التفسير النبوي للقرآن الكريم.

والأمثلة على أسئلة الصحابة رضي الله عنهم للرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير كثيرة منها ما رواه أحمد والشيخان(٢) وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية « ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ »(٣) شَقَّ ذلك على الناس وقالوا: يارسول الله فأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: انه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: «يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»(٤) انما هو الشرك.

وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه أنّه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال: **«يوم النحر»**(٥).

وما أخرجه احمد والشيخان(٦) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من نُوقِشَ الحساب عُذِّب»** قلت: أليس يقول الله: «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا»(٧)؟! قال:

---

(١) سورة النحل: الآية: ٤٤.

(٢) رواه الامام احمد في مسنده جـ: ١ص: ٣٧٨ ورواه البخاري في صحيحه جـ: ٨ص: ٤٨ ورواه مسلم في صحيحه جـ: ١ص: ١١٤ــ١١٥.

(٣) سورة الانعام: من الآية: ٨٢.

(٤) سورة لقمان من الآية: ١٣.

(٥) الجامع الصحيح: الترمذي: جـ: ٣ص: ٢٩١.

(٦) مسند الامام احمد جـ: ٦ص: ٩١ وصحيح البخاري جـ: ٧ص: ١٩٧. وصحيح مسلم جـ: ٤ص: ٢٢٠٤.

(٧) سورة الانشقاق: الآية: ٨.

ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض.

وغير ذلك كثير من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن، بل كان كثير من تفسيره صلى الله عليه وسلم إبتداء من غير سؤال كما روى مسلم(١) وغيره عن عُقْبَة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ»(٢) ألا وإنَّ القوة الرمي.

وما اخرجه احمد ومسلم(٣) عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الكوثر نهر أعطانيه الله عز وجل في الجنة»**

الثالث: الاجتهاد والاستنباط:

فإن لم يجد الصحابة رضي الله عنهم التفسير في القرآن ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهدوا لأنهم عرب خُلَّصٌ شاهدوا التنزيل وحضروا مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وهذا فيما يحتاج إلى اجتهاد وإعمال ذهن وقد توافرت عندهم أدوات الاجتهاد فهم(٤):

أولا: يعرفون أوضاع اللغة العربية وأسرارها وهذا يعينهم على معرفة الآيات التي يتوقف فهمها على فهم اللغة العربية.

---

(١) صحيح مسلم جـ: ٣ص: ١٥٢٢.

(٢) سورة الانفال من الآية: ٦٠.

(٣) مسند الامام احمد جـ: ٣ص: ٢٣٦ وصحيح مسلم جـ:١ص: ٣٠٠ــ٣٠١.

(٤) انظر التفسير والمفسرون: تاذهبي جـ: ١ص: ٥٨ــ٥٩.

ثانيا: يعرفون عادات العرب وأخلاقهم، وهذا يُعين على فهم ما يتعلق بإصلاح عاداتهم وتهذيب سلوكهم من الآيات كقوله تعالى « إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ »(١) وقوله «وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا»(٢) ومثل هذا يَفهمُ المرادَ منه من كان يعرف عادات العرب في الجاهلية.

ثالثا: معرفتهم بأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن الكريم وهذا يُعينهم على معرفة الآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى وما يأتون من أمور وما يُدبرون للمسلمين.

رابعا: معرفة أسباب النزول فهم الذين شاهدوا التنزيل وحضروا الأحداث والوقائع ومعرفة ذلك تُعين على فهم كثير من الآيات ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمُسَبَّب"(٣).

خامسا: قوة الفهم والادراك فقد آتاهم الله عقلا وفهما جَلَوا به كثيراً من الأمور وهذا أمر معلوم من سيرتهم رضي الله عنهم و بهذه الأمور فَهِمَ الصحابةُ كثيرا من آيات القرآن الكريم التي لم يَرِدْ تفسيرها في الكتاب ولا في السنة.

وهم يتفاوتون في معرفة معاني القرآن حسب تفاوت مداركهم وتحصيلهم وحسب تفاوت قدراتهم العقلية، ولذا يقع بينهم اختلاف في التفسير كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى.

---

(١) سورة التوبة من الآية: ٣٧.

(٢) سورة البقرة من الآية: ١٨٩.

(٣) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية، ص: ٤٧.

واشتهر عدد من الصحابة بالتفسير هم: ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير بن العوام، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الاشعري،وعائشة رضي الله عنهم اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتهروا بالتفسير وهناك عدد آخر من الصحابة نُقِلَ عنهم في التفسير نقلا قليلا لم يصل بهم إلى درجة الشهرة ومنهم أنس وأبو هريرة وابن عمر وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم.

أما أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية في التفسير فأربعة هم:

١ ــ علي بن أبي طالب.

٢ ــ عبد الله بن مسعود.

٣ ــ عبد الله بن عباس.

٤ ــ أبي بن كعب.

أما علي رضي الله عنه فيرجع السبب في ذلك إلى سعة علمه وتفرغه، عن مَهَامّ الخلافة مدة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه وتأخر وفاته إلى زمنٍ كثرت حاجةُ الناس فيه إلى مَنْ يُفَسِّر لهم القرآن لا تساع رقعة الاسلام وكثرة الداخلين فيه.

أما الثلاثة الباقون فلأنهم أنشأوا ما نستطيع أن نسميه بالمصطلح الحديث مدارس للتفسير وهي:

١ ــ مدرسة ابن مسعود في الكوفة:

وابن مسعود رضي الله عنه سادس رجل دخل في الاسلام، وأول من جهر بالقرآن في مكة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان خادما لرسول

الله صلى الله عليه وسلم وصاحب طهوره وسواكه ونعله ويمشي أمامه إذا سار، و يستره إذا اغتسل، و يوقظه اذا نام، قرأ القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى فاضت عيناه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **«من سره أن يقرأ القرآن غضّاً كما أنزِلَ فليقرأه على قراءة ابن أمِّ عبد»**(١) بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفه ليُعلِّمَ أهلها وقال لقد آثرتُ أهلَ الكوفة بابن أمِّ عبد على نفسي إنَّه من أطولنا فَوقاً، كنيف مُلِىء عِلْماً(٢) ولما قدم علي بن ابي طالب رضي الله عنه الكوفة قال له أهل الكوفة «ما رأينا رجلاً أحسن خُلُقاً، ولا أرفق تعليماً ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعاً من ابن مسعود، فقال علي: نشدتكم الله، إنه لصِدْقٌ من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: اللهم إنِّي أشهدك، اللهم إنِّي أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل»(٣). وقال ابن مسعود عن نفسه «والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»(٤). توفي رضي الله عنه سنة ٣٢.

ومن أشهر تلاميذه مسروق بن الأجدع، وعلقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد، وقتادة بن دعامة السدوسي، وأبو عبد الرحمن السلمي وعمرو بن شرحبيل وغيرهم.

---

(١) مسند الامام احمد جـ: ١ص: ٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ: ٦ص: ٩ قال في القاموس ص: ١١٨٧ (فاق اصحابه فوقاً وفواقا: علاهم بالشرف) والكنيف تصغير للكِنْف وهو الوعاء.

(٣) الطبقات الكبرى: ابن سعد جـ: ٣ص: ١٥٦.

(٤) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٩٦ وانظر تفسير الطبرى جـ:١ ص: ٨٠.

٢ ــ مدرسة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في مكة:

وابن عباس هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وأمُّه لُبابة الكبرى بنت الحارث وخالته ميمونة بنت الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وأمّ المؤمنين قال عنه ابن مسعود رضي الله عنه: «نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس»(١) وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «ابن عباس أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد»(٢) دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**(٣)، وقيل لطاوس لزمت هذا الغلام ــ يعني ابن عباس ــ وتركت الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم!! قال: إنِّي رأيتُ سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تدارءوا في أمرٍ صاروا إلى قول ابن عباس(٤) وتوفي رضي الله عنه سنة ٦٨.

ولمكانة ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير ومنزلته الكبيرة فقد كثر الوضع عليه في هذا الباب.

ومن أشهر تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وطاوس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى بن عباس.

٣ ــ مدرسة ابي بن كعب رضي الله عنه في المدينة:

وهو من الخزرج من الأنصار شهد العقبة، و بدراً، وأول من كتب

---

(١) سير اعلام النبلاء: الذهبي جـ: ٣ص: ٣٤٧ والطبقات الكبرى: لابن سعد جـ: ٢ص: ٣٦٦ والاصابة: لابن حجر جـ: ٢ص: ٣٣٢.

(٢) الاصابة: ابن حجر جـ: ٢ص: ٣٣٢.

(٣) رواه الامام احمد في مسنده جـ: ١ص: ٢٦٦ وصححه الالباني في شرح الطحاوية ص: ٢٣٤.

(٤) الاصابة: ابن حجر جـ: ٢ص: ٣٣٣.

للرسول صلى الله عليه وسلم بعد قدومه للمدينة، وكان سَيِّدَ القُراء، وأحد كُتَّاب الوحي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم «**أقرؤهم لكتاب الله أبيٌّ بن كعب**»(١).

وروى انس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لأ بيٍّ بن كعب: إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك « لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ » قال: وسماني لك؟ قال: نعم، فبكى(٢). توفي رضي الله عنه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وروى عنه أبو العالية الرياحي نسخة كبيرة في التفسير أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا وأخرج منها الحاكم في المستدرك والإمام أحمد في مسنده(٣).

ومن أشهر تلاميذه أبو العالية الرياحي، وزيد بن أسلم، ومحمد بن كعب القرظي، وابنه الطُّفَيْلُ بن أبيّ بن كعب.

حكم تفسير الصحابي:

تفسير الصحابي ينقسم إلى قسمين:

١ ــ اذا كان مما ليس للرأي فيه مجال كالأمور الغيبية، وأسباب النزول ونحوها فله حُكْمُ المرفوع يجبُ الأخذُ به.

٢ ــ واذا كان غير ذلك مما يرجع إلى اجتهاد الصحابي فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأوجب بعضُ العلماء

---

(١) رواه الترمذي جـ: ٥ص: ٦٦٥، وابن ماجه جـ: ١ص: ٦٨.

(٢) مسند الامام احمد جـ: ٣ص: ١٣٠.

(٣) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٩٣.

الأخذَ بموقوف الصحابي لما شاهدوه من القرائن والاحوال التي اختصوا بها وليست لغيرهم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ــ ولا في السنة رجعت في ذلك الى أقوال الصحابة، فإنهم أدْرَى بذلك، لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التى اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لاسيما علماؤهم وكبراؤهم»(١).

وقال الزركشي رحمه الله تعالى وهو يعد أمهات مآخذ التفسير «الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإنَّ تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله الحاكم في تفسيره»(٢) وقال في موضع آخر «ينظر في تفسير الصحابي فإن فَسَّره من حيث اللغة فهم أهلُ اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه»(٣).

المرحلة الثالثة: «التفسير في عهد التابعين رحمهم الله تعالى»:

لم يكن ثمة فارق كبير بين منهج الصحابة رضي الله عنهم ومنهج التابعين فقد تَلَقَّى التابعون تفسيرهم من الصحابة رضي الله عنهم كما اسلفنا.

وكان التابعون يَتحرَّجون من التفسير كما تَحَرَّج الصحابة رضي الله عنهم، فهذا سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى كان اذا سُئِلَ عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع(٤). وهذا الشعبيُّ يقول: والله ما من آية

(١) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٩٥.
(٢) البرهان: الزركشي جـ: ٢ص: ١٥٧.
(٣) المرجع السابق، جـ: ٢ص: ١٧٢.
(٤) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ١١٢.

إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله(١). وهذا القول منهم رحمهم الله تعالى محمول على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا عِلْمَ لهم به، فأمَّا من تَكَلَّمَ بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه(٢).

منهج التابعين في التفسير:

يشترك التابعون رحمهم الله تعالى مع الصحابة رضي الله عنهم في أهم اسس التفسير، الا انهم نظراً لتلقيهم التفسير عن الصحابة واتساع الفتوحات الاسلامية جَدَّت أُسُسٌ أخرى، فمنهج التابعين رحمهم الله تعالى يقوم على:

١ ــ تفسير القرآن بالقرآن كما مر في منهج الصحابة رضي الله عنهم.

٢ ــ تفسير القرآن بالسنة النبو ية كما مر ــ أيضا ــ في منهج الصحابة رضي الله عنهم.

٣ ــ تفسير القرآن بأقوال الصحابة فإنَّ التابعين رحمهم الله تعالى كانوا يرجعون إلى تفسير الصحابة رضي الله عنهم و يُقدمونه على أقوالهم وهم الذين تلقوا التفسير عن الصحابة وعرضوه عليهم كما قال مجاهد بن جبر «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كُلِّ آية منه وأسأله عنها»(٣).

٤ ــ الفهم والاجتهاد فإنْ لَمْ يجد التابعون التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة اجتهدوا فهم أهلٌ للاجتهاد وهم الذين يعلمون لغة العرب ومناحيهم في القول، وقد تلقوا التفسير عن الصحابة وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم فحق لهم أن يجتهدوا بعد ذلك.

---

(١) المرجع السابق ص: ١١٣.

(٢) المرجع السابق ص: ١١٤.

(٣) المرجع السابق ص: ١٠٢.

٥ ــ أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

وذلك أنَّ القرآن الكريم يذكر قصص الأنبياء السابقين والأمم الماضية ذكراً موجزاً ولم يتعرض لتفاصيل هذه الأحداث والقصص، والنفوسُ تميلُ إلى الإستيفاء والإستقصاء، فلما اتسعت الفتوحات الاسلامية ودخل في الاسلام أمم من أهل الكتاب الذين يعرفون تفاصيل هذه القصص من التوراة والإنجيل صاروا يروون هذا للناس، وصار الناس يُقبلون على سماعها حُبّاً لسماع تفاصيل القصص والأخبار القرآنية فدخل في التفسير طائفة من هذه الاخبار التي تعرف بالاسرائيليات.

واكثر من رويت عنه الإسرائيليات عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن جريج.

مزايا تفسير التابعين رحمهم الله تعالى:

ويتميز تفسير التابعين رحمهم الله تعالى بمزايا عديدة منها:

١ ــ دخول الاسرائيليات في التفسير.

٢ ــ لاتساع الفتوحات الاسلامية ودخول كثير من العجم في الاسلام زادت الحاجة إلى تفسير كثير من الآيات التي لم يتناولها الصحابة رضي الله عنهم لظهور معناها عندهم، فزاد التابعون تفسير ما احتاج الناس الى تفسيره، فأتموا التفسير وشمل القرآن كله.

٣ ــ ظل التفسير في هذا العهد محتفظا بطابع التَلَقِّي والرواية، وان كانت هذه الرواية ذات صبغة خاصة ذلك أنَّ أهل كل مصر يعنون بشكل خاص بالتلقي والرواية عن إمام مِصرِهم فالمكِّيُون عن ابن عباس والمدنيون عن أُبَيّ والعراقيون عن ابن مسعود(١).

---

(١) انظر التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ١٣١.

٤ ــ كثرة الخلافات التفسيرية وزيادتها عما كانت عليه في عهد الصحابة فهم قد تناولوا ما اشتمل عليه تفسيرهم وأضافوا إليه آراءهم حسب اجتهادهم ومن ثمَّ زادت الأقوال والتفسيرات في الآية الواحدة.

٥ ــ ظهرت نواة الخلاف المذهبي فظهرت بعض الآراء التي تحمل في طياتها بذور هذه المذاهب.

٦ ــ كان التفسير في ذلك العهد مروياً بإسناد كل قول إلى صاحبه ونسبته إليه حتى تُعرَف الأقوال و يُمَيِّز بين قويها وضعيفها، وصحيحها وسقيمها.

أشهر المفسرين من التابعين:

ومن إشتهر بالتفسير من التابعين:

مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة، والحسن البصري، وزيد بن اسلم، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومحمد بن كعب القرظي، وابو العالية الرياحي، وعامر الشعبي، وغيرهم.

حكم تفسير التابعي:

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية إذا لم يَرد تفسيرُ لها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم:

فقالت طائفة منهم ابن عقيل ورواية عن الإمام احمد وشعبة انه لا يجب الأخذُ بتفسير التابعي لأنهم:

١ ــ ليس لهم سماع من الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يُمكن أنْ يُحمل تفسيرهم على أنهم سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم كالصحابة.

٢ ـــ أنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التى نَزَلَ عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً.

٣ ـــ أنَّ عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصَّ على عدالة الصحابي، كما نقل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنَّه قال: ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وما جاء عن أصحابه فلا أتركه، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا ونحن رجال نجتهد(١).

وقالت طائفة: وهم اكثر المفسرين ورواية أخرى عن الإمام احمد رحمه الله تعالى: انه يؤخذ بقولِ التابعي في التفسير إذا لم نجد تفسيرها في السنة ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم وحضروا مجالسهم ونَهِلُوا من علمهم وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم، فقد عَرَضَ مُجاهد المصحف على ابن عباس ثلاث مرات يسأله عن كل آية ـــ كما مَرَّ ـــ وقتادة بن دعامة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا(٢). وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها(٣).

والرأي الراجح: التفصيل كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإن أجمعوا على تفسير واحد وَجَبَ الأخذُ به ولا يُرتاب في كونه حجة.

وان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على مَنْ بعدهم، و يُرْجَعُ في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو

(١) فواتح الرحموت بشرح مُسَلَّم الثبوت: ابن عبد الشكور ج: ٢ص: ١٨٨.

(٢) طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢صـ: ٤٣.

(٣) مقدمة في أصول التفسير ابن تيمية، ص: ١١٣.

أقوال الصحابة في ذلك(١).

(قلت) وهذا مما لا خلاف فيه وإنما الخلاف فيما إذا ورد التفسير عن تابعي ولم يعرف له مخالف من التابعين فهذا مما ينبغي الأخذ به وتقديمه على غيره لما لهم من فضل ومزية على من بعدهم في العلم.

المرحلة الرابعة: «التفسير في عهد التدوين»:

قلنا ان التفسير في المراحل السابقة كان بالرواية والتلقين وإن كان هناك تدوين فهو تدوين قليل تطغى عليه الرواية وتستأثر بالصبغة العامة للمراحل المذكورة.

وقد بدأ عصر التدوين في أواخر القرن الاول الهجري حيث دون الحديث النبوي الشريف بمختلف موضوعاته وأبوابه، ونستطيع أن نقول ان تدوين التفسير مَرَّ بمراحل هي:

المرحلة الاولى:

دُوِّن فيها التفسير على أنَّه بابٌ من أبواب الحديث كباب الطهارة وباب الصلاة وباب الزكاة وباب الحج وغيرها ولم يُفرد للتفسير تأليف خاص لا يتناول إلا التفسير سورة سورة وآية آية من أول القرآن إلى آخره.

وممن دون التفسير في هذه المرحلة على أنه باب من أبواب الحديث:

- يزيد بن هارون السلمي ت ١١٧هـ.
- شعبة بن الحجاج ت ١٦٠هـ.
- وكيع بن الجراح ت ١٩٧هـ.
- عبد بن حميد ت ٢٤٩ هـ.

وغير هؤلاء وتتميز هذه المرحلة بمزايا منها:

١ ــ كان لهم عناية خاصة بالاسناد.

---

(١) المرجع السابق، ابن تيمية، ص: ١٠٥.

٢ ــ لم يكن جمعهم للتفسير مستقلاً، بل على أنه باب من أبواب الحديث.

٣ ــ لم يقتصر على التفسير المرفوع للرسول صلى الله عليه وسلم، بل اشتمل على تفسير الصحابي والتابعي.

المرحلة الثانية:

اصبح التفسير في هذه المرحلة علما مستقلا قائماً بنفسه شاملاً لآيات القرآن الكريم وسوره مرتباً حسب ترتيب المصحف.

وقد نَصَّ ابنُ تيمية(١) وابنُ خِلّكَان(٢) على أن أوّل من صَنّفَ في التفسير عبد الملك بن جريج (٨٠ــ١٤٠هـ). وأشهر من ألّف في هذه المرحلة:

ــ ابن ماجة ت ٢٧٣هـ.

ــ ابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ.

ــ ابو بكر المنذر النيسابوري ت ٣١٨هـ.

ــ ابن ابي حاتم ت ٣٢٧هـ.

ــ ابن حبان ت ٣٦٩هـ.

ــ الحاكم ت ٤٠٥هـ.

ــ ابن مردويه ت ٤١٠هـ.

وغير هؤلاء، و يتميز التدوين في تلك المرحلة بـ:

١ ــ أنَّ ما دون فيها كان بالتفسير المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم.

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ج ٢٠ ص: ٣٢٢.

(٢) وفيات الاعيان: ابن خلكان ت محمد محي الدين عبد الحميد جـ٢ص: ٣٣٨.

٢ ــ كـان الـتـفـسير في تـلـك المرحلة بالإسناد المتصل إلى صاحب التفسير المروي عنه.

٣ ــ لـم تـكـن لهـم عـنـايـة بـالنقد وتحري الصحة في رواية الاحاديث في الـتـفـسير بـل ان بـعضهم ذكر ما رُوي في كلِّ آية من صحيح وسقيم ولم يـتـحـر الـصحة كابن جريج مثلاً(١) و يرجع السببُ في ذلك إلى ذكرهم لـلإسـنـاد فـهم يكتفون بذكر الإسناد عن بيان درجة المرويّ على حد قول القائل من أسند فقد ابرأ ذمته.

٤ ــ اتسعت رواية الاسرائيليات فدُوِّن الكثيرُ منها ضِمْنَ التفسير.

المرحلة الثالثة:

كـانـت تـلـك المرحلة منعطفاً خطيراً في تاريخ التفسير بدأت حين اتجه بـعـض الـمـفـسـرين إلى اختصار الأسانيد ونقلوا الآثار المروية عن السلف دون أن يـنـسـبـوهـا إلى قـائـليها فاختلط الصحيح بالضعيف وكانت تلك الهـفوة من أخطر الهفوات وأوسع الفجوات لنفوذ الأعداء إلى الدين ليَضعوا فـيه ما لا يرتضيه، و يُنَحِّلوه ما ليس من مبادئه، لولا ان الله هَيَّأ لهذا الأمر مـن عـلـماء الإسلام من كشف زيف الزائفين ودَسَّ المُغرضين ومَيَّزَ بين الصحيح والسقيم وحفظ الله تعالى لهذه الأمة هذا الدين.

كـمـا ازداد في هـذه الـمـرحـلـة الـقـولُ في الـتـفـسير بالرأي المحمود منه والمذموم وتجرأوا على الـقـول في الـقـرآن بـغير عـلـم، وحرص بعضهم على الإكـثـار من رواية الأقوال في تفسير الآية الواحدة، فصار كل من يسنح له قـول يُورده من غير أنْ يخطر بباله شيء يَعتَمد عليه فيأتي مَنْ بَعْدَه فيظن أنَّ

(١) الاتقان: السيوطي: جـ: ٢ ص: ١٨٨.

لِمَا أورد أصلاً غير مُلتَفِت لصحة ولا باحثاً عن سند(١).

وتطورت كثيرا رواية الإسرائليات وتوسعت في استقصاء الأخبار الإسرائيلية والخوض فيما لا فائدة في معرفته واشتغلوا بهذا عن البحث الجَادّ الأسمى في أمور الدين.

المرحلة الرابعــة:

وهذه نتيجة حتمية للمرحلة السابقة فقد انفتح بابُ التفسير على مصراعيه فدخل منه الغثُّ والسمين، والصحيح والعليل، ولم يَزلْ مفتوحاً إلى يومنا هذا فبعد أن كان التفسير يعتمد على النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين رأيناه في تلك المرحلة يعتمد على التفسير بالرأي وذلك نتيجة لنشأة كثير من الفرق والمِلَل والمذاهب في الاسلام فأصبح أصحابُ كل مذهب يتجهون إلى آيات القرآن و يفسرونها حسب ما يوافق مذاهبهم ومعتقداتهم كما اعتنى أر باب العلوم بما يوافق علومهم فكان كلُّ مَنْ بَرَعَ في علمٍ من العلوم غلَبَ ذلك على تفسيره، فالفقيه يكاد يسرد فيه الفقه وربما استطرد الى إقامة أدلَّة الفروع والرد على المخالفين، كالقرطبي والجصَّاص والإخباري ليس له هَمٌّ إلا سَرْدُ القصص وإستيفاؤها.. كالثعلبي. والنحويُّ ليس له هَمٌّ إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه كالزجاج والواحدي وأبي حيان.. وصاحبُ العلوم العقلية ملأ تفسيره بأقوال الحُكماء والفلاسفة وشبههم والرَدِّ عليهم كالفخر الرازي(٢).

---

(١) الاتقان: السيوطي جـ: ٢ص: ١٩٠.

(٢) الاتقان: السيوطي، جـ: ٢ص: ١٩٠.

وهكذا نرى كُلَّ صاحب فن أو مذهب يُفسر القرآن بما يتناسب مع فنه، أو يوافق مشر به، أو يشهد لمذهبه ولو كان بعيداً كُلَّ البعد عن المقصد الذي نَزَلَ من أجله القرآن(١).

تلكم أهَمُّ المراحل التى مَرَّ بها تدو ين التفسير. لكن ينبغي أن نُدرك ان تتابع هذه المراحل لا يعني أنَّ كُلَّ مرحلة منفصلة إنفصالاً تاماً عن المرحلة السابقة لها أو التالية، بل ظلت كل مرحلة موجودة في المرحلة او المراحل التالية لها وقد توجد لها نواة او بذور في المرحلة السابقة لها أيضا.

أهم المؤلفات في عصر التدو ين:

ليس من السهل ذكر المؤلفات في عصر التدو ين الذي امتدَّ من نهاية القرن الأ ول و بداية القرن الثاني إلى عصرنا الحاضر، فضلاً عن استقصاء ذلك وإذا كان الامر كذلك فسنذكر أهم المؤلفات إجمالا:

فمن أهم المؤلفات في التفسير بالمأثور:

١ ـ جامع البيان في تفسير القرآن	المعروف بتفسير الطبري
٢ ـ بحر العلوم	لأ بي الليث السمرقندي
٣ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن	للثعلبي
٤ ـ معالم التنزيل	البغوي
٥ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	لابن عطيه
٦ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور	السيوطي
٧ ـ تفسير القرآن العظيم	المعروف بـ«تفسير ابن كثير»

(١) انظر مناهل العرفان: الزرقاني جـ: ١ص: ٥٠١.

٨ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن — الثعالبي

٩ ـ فتح القديـر — الشوكاني

١٠ـ اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن — الشنقيطي

ومن اهم المؤلفات في التفسير بالرأي:

١ ـ الكشاف — الزمخشري

٢ ـ مفاتيح الغيب — الرازي

٣ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل — النسفـي

٤ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل — الخـازن

٥ ـ البحـر المحيط — ابي حيـان

٦ ـ انوار التنزيل واسرار التأويل — البيضاوي

٧ ـ تفسير الجلالين — جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي

٨ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم — لأبي السعود

٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني — للألـوسي

١٠ـ تفسير المنـار — محمد رشيد رضـا

١١ـ في ظلال القـرآن — سـيد قطـب

اختلاف المفسرين وأسبابه

كان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة واللسان العربي، وإذا أشكل عليهم معنى سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فبَيَّنه لهم، وكانوا رضي الله عنهم يجتهدون في استنباط معاني ودلالات بعض الآيات القرآنية و يتفاوتون في ذلك نَتِيجَةَ تفاوتهم في معرفة أسباب النزول وما أحاط بالآيات من أحداث ومُلابَسات فضلاً عن تفاوت القُدُرات العقلية شأنهم شأن البشر، ولذا فقد كان يقعُ بينهم اختلاف في التفسير إلا أن هذا **الاختلاف كان قليلاً جداً بين الصحابة لأمور منها:**

١ ــ وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم ورجوعهم إليه إذا وُجِدَ بينهم خلاف، فقد كان يجلوه لهم حتى لا يبقى له أثر.

٢ ــ أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينهاهم عن ما يؤدى إلى الاختلاف في القرآن كما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّه «أنَّ نفراً كانوا جلوسا بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: أَلَمْ يَقُل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: أَلَمْ يَقُل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فكأنَّما فُقِيء في وجهه حبُّ الرُّمان فقال: (أبهذا أمِرْتُم؟ أو بهذا بُعِثْتم أنْ تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنَّما ضلَّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنَّكم لستم مما ههنا في شيء انظروا الذي أمِرْتُم به فاعملوا به، والذي نُهيتُم عنه فانتهوا عنه»(١).

٣ ــ سعةُ علم الصحابة الشرعي ومعرفتهم للغة العربية وأساليبها ومعانيها

---

(١) مسند الامام أحمد: جـ: ٢ص: ١٩٦ ورجاله ثقات.

مما يَسَّرَ لهم معرفة كثير من الآيات بمقتضى اللسان العربي.

٤ ــ تـأثيرُ العَصْرِ عليهم، فإنَّ للعصر تأثيره على أبنائه ومن المعلوم أنَّ عصر الصحابة هو خير العصور، ولذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم وكُلَّمَا كان العصر أشرف كان الإجتماع والإئتلاف والعلم والبيان فيه أكثر»(١).

ولهذا نرى الاختلاف يزداد والرقعة تتسع كلما امتد الزمان.

ومع قلة الإختلاف بين الصحابة في تفسير القرآن الكريم، فإن أغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا إلى اختلاف التضاد وهو أيسر أنواع الاختلاف.

أنــواع اختــلاف التنـوع:

ونستطيع أنْ نُرجِعَ اختلاف السلف في التفسير إلى أنواع معدودة منها:

أولاً: أنْ يُعبِّرَ كُلُّ واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المُسَمَّى غير المعنى الآخر مع اتحاد المُسَمَّى. ومثال ذلك تفسير «الصراط المستقيم» فقد قال بعضهم هو القرآن وقيل الإسلام وقيل هو السنة والجماعة وقيل العبودية وقيل طاعة الله ورسوله، فهذه الاقوال كلها تدل على ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها(٢).

---

(١) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص: ٤١ــ٤٣.

الثاني: أنْ يذكر كلُّ مُفسِّر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحَدِّ المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه.

ومثال ذلك: ما نُقِلَ في قوله تعالى «ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ»(١).

فمن المفسرين مَنْ قال السابق الذي يُصلِّي في أوَّلِ الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الإصفرار ومنهم مَنْ قال: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع، ومنهم مَنْ قال السابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، والظالم آكل الربا أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا وأمثال هذه الاقاويل(٢).

فكل قول من هذه الأقوال إنما يذكر نوعاً مما يتناوله نَصُّ الآية لتعريف المستمع وتنبيهه على نظائره ولا يُضادّ ما ذكره غيره.

الثالث: ما يكون فيه اللفظ محتملاً للأمرين:

ومثاله لفظ «قسورة» فإنه يُراد بها الرامي، و يُراد بها الأسد ولفظ «عسعس» يُراد به إقبال الليل، وادباره، ولفظ «القَرْء» يُراد به الحيض والطهر.

---

(١) سورة فاطر. الآية: ٣٢.

(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٤٣ـ٤٤.

الرابع: أن يُعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة:

ومثاله أن يفسر أحدهم قوله تعالى: «أَن تُبْسَلَ»[(١)] بـ«تُـحْبَسَ» ويقول الآخر «تُرتَهَن» ونحو ذلك.

وكل هذه الأنواع من اختلاف التنوع وليست من اختلاف التضاد، وهو اختلاف لا ضرر فيه قال الزركشي: «يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده أنَّ في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر مَعْنًى ظهر من الآية، وإنَّما اقتصر عليه لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يُخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يَؤُلُ إلى مَعْنًى واحد غالباً والمراد الجميع، فليتفطن لذلك، ولا يُفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات كما قيل:

عباراتنا شتى وحسنُك واحدُ ... وكلٌّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ[(٢)]

أسباب الاختلاف:

ولاختلاف السلف في التفسير أسباب كثيرة[(٣)] منها:

أولاً: أنْ يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على حسب قراءة مخصوصة.

مثال ذلك: ما أخرجه ابن جرير الطبري[(٤)] عن مجاهد في تفسير قوله

---

(١) من قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ٧٠: الأنعام.

(٢) البرهان: الزركشي جـ: ٢ ص: ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣) انظر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: وهو تفسير ابن جزي جـ ١ ص ١٥ وللدكتور سعود الفنيسان كتاب هو (اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره) وهو أطروحته للماجستير. (مطبوع).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري: جـ: ١٤ ص: ٩.

تعالى: «وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ»(١).

أنَّ معنى «سُكِّرَت»: سُدَّت. ثم أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: سُكرت بمعنى: أخِذَت وسُحِرَت(٢) ثم أورَدَ قولَ قتادة(٣) من قرأ «سُكِّرَت» مشددة يعني سُدَّت ومن قرأ «سُكِرَت»(٤) مخففة فانه يعني سحرت.

ومثاله أيضا: ما أخرجه ابن جرير الطبري(٥) عن الحسن في تفسير قوله تعالى «سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ»(٦) أنَّ القطران الذي تُهْنَأ به الإبل، وروى عن ابن عباس وغيره(٧) أنَّه النحاس المُذاب فمن قرأ «قَطِرَان» قال بالتفسير الأول، ومن قرأ «قَطْرٍ آنٍ»(٨) قال بالتفسير الثاني، فالاختلاف يرجع إلى الاختلاف في القراءة.

ومثاله أيضا: الاختلاف الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى «أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ»(٩) هل هو الجماع أو اللمس باليد، فقد

---

(١) سورة الحجر: الآيتان: ١٤ـ١٥.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري جـ: ١٤ص: ١٠.

(٣) المرجع السابق جـ: ١٤ص: ١٠.

(٤) قرأ ابن كثير (سُكِرَت) بالتخفيف، وشَدَّده الباقون، انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي بن أبي طالب القيسي جـ: ٢ص: ٣٠.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري جـ: ١٣ص: ١٦٨.

(٦) سورة ابراهيم، من الآية: ٥٠.

(٧) تفسير ابن جرير الطبرى جـ: ١٣ص: ١٦٨.

(٨) قال ابن جرير جـ: ١٣ص: ١٦٨ وبهذه القراءة ــ أعني ــ بفتح القاف وكسر الطَّاء وتصيير ذلك كله كلمة واحدة قرأ ذلك جميع قراء الأمصار وبها نقرأ لإجماع الحجة من القراء عليه وقد روي عن بعض المتقدمين أنّه كان يقرأ ذلك من قطرٍ آنٍ بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصيير آنٍ من نعته.

(٩) سورة النساء: من الآية: ٤٣.

روى ابن جرير رحمه الله تعالى عن ابن عباس انه الجماع(١) وروى عن غيره أنَّه اللمس باليد(٢) فمن قرأ «لامستم» قال انه الجماع ومن قرأ «لمستم»(٣) قال انه اللمس باليد.

ثانيا: ومن أسباب اختلاف المفسرين الاختلاف في وجوه الإعراب ولا شك أنَّ للإعراب تأثيره في المعنى فليس بين الفاعل والمفعول به مثلا إلا الضبط بالشكل، و يكفر من لَحَن مُتعمدا في قوله تعالى « أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ »(٤) لو قرأها بكسر اللام من (رسوله) وكذا قوله تعالى «هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ» لو قرأها بفتح الواو من المصور، وها أنت ترى أنه ليس بين الكفر والإيمان إلا حركة واحدة، كل هذا يدل على ما للإعراب من تأثير في المعاني.

ومثال الاختلاف في الإعراب، اختلافهم في قوله تعالى « وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ »(٥) فقد اختلفوا في «والراسخون» فقيل عطف نَسَق على اسم الله عز وجل وقيل هم مرفوعون بالإبتداء والخبر في قوله تعالى «يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ»(٦).

ثالثا: وقد يكون سببه الاختلاف في المراد باللفظ لاحتماله أكثر من معنى:

اما بسبب الاشتراك اللغوي، بمعنى أنَّ الكلمة بحكم وضعها لغة

---

(١) تفسير ابن جرير بتحقيق احمد ومحمد شاكر جـ: ٨ص: ٣٨٩.

(٢) المرجع السابق جـ: ٨ص: ٣٩٤.

(٣) قرأ حمزه والكسائي (أو لمستم) بغير الف، وقرأ الباقون «أو لامستم» بالف. انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع: لمكي بن ابي طالب جـ: ١ص ٣٩١ــ٣٩٢.

(٤) سورة التوبة. من الآية: ٣.

(٥) سورة آل عمران : من الآية: ٧.

(٦) المُكتفى في الوقف والإبتداء: لأ بي عمرو الداني ص: ١٩٧.

تُستعمل لمعنيين مختلفين فيُفسرها أحدُ العلماء بأحد المعنيين و يُفسرها آخر بالمعنى الثاني، وكلا التفسيرين جائز وصحيح ما لم يَقُمْ دليل على أحد المعنيين. كلفظ «قسورة» الذي يُطلق على (الرامي) وعلى (الأسد) ولفظ «عسعس» الذي يُرادُ به إقبال الليل وإدباره ولفظ (الجون) يطلق على الأسود وعلى الأبيض ولفظ (النكاح) يطلق على العَقدِ و يطلق على الوطء، ولفظ القَرْء يُراد به الحيض و يُراد به الطهر.

وكما يقع الاشتراك اللفظي في الأسماء والأفعال، فإنه يقع في الحروف كحرف (مِنْ) فإنه يأتي لابتداء الغاية كقوله تعالى « سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا »الآية(١) وللتبعيض كقوله تعالى «لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ »(٢) وللسببيه كقوله سبحانه « مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ »(٣). وللجنس كقوله عز وجل «فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ»(٤).

ولّما استعمل القرآن الكريم هذه الالفاظ المشتركة ونحوها كانت سببا لاختلاف العلماء في التفسير.

وإمّا لكونه متواطئا في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر في قوله تعالى « ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ »(٥) وكأسماء الجنس مثل «وَٱلْفَجْرِ» و«وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ» و«وَلَيَالٍ

---

(١) سورة الاسراء: من الآية الاولى.
(٢) سورة آل عمران: من الآية: ٩٢.
(٣) سورة نوح: من الآية: ٢٥.
(٤) سورة الحج: من الآية: ٣٠.
(٥) سورة النجم: الايتين ٨ و٩.

عَشْرٍ»(١) وما أشبه ذلك فمثل هذا قد يجوز أن يُراد به كُلُّ المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك(٢).

رابعا: ومن أسباب الاختلاف إحتمال الإطلاق والتقييد في الآية:

والمُطْلَق هو: ما دَلَّ على الماهية بلا قيد(٣).

والمُقَيَّد هو: ما دَلَّ على الماهية بقيد. كالدم المقيد بالسفح في قوله تعالى «أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا»(٤).

ومن المعلوم أنه يجب حَمْل المُطلق على المُقَيَّد إذا وُجِدَ دليل يقتضي التقييد، و يقع الخلاف بين السلف في هذا الدليل فتراه طائفة فيحملون المُطلق على المُقيد، ولا تراه أخرى فيُبقُون المُطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده.

ومثال ذلك عتقُ الرقبة في الكفارات، فقد وردت مقيدة في كفارة القتل الخطأ بالرقبة (المؤمنة) قال تعالى «وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ»(٥) ووردت مُطلقة في كفارة الظهار قال تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا»(٦) ووردت مطلقة أيضا في كفارة اليمين قال تعالى: «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ»(٧)، فالرقبة في كفارة الظهار واليمين مطلقة

---

(١) سورة الفجر: الآيات ١ــ٣.
(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٤٩ــ٥٠.
(٣) الا تقان في علوم القرآن: السيوطي جـ: ٢ص: ٣١.
(٤) سورة الانعام: من الآية: ١٤٥.
(٥) سورة النساء: من الآية: ٩٢.
(٦) سورة المجادلة: من الآية: ٣.
(٧) سورة المائدة: من الآية: ٨٩.

تشمل المؤمنة والكافرة، وفي كفارة القتل الخطأ مقيدة بالإيمان، فقالت طائفة بحمل المطلق على المقيد فلا تجزىء عندهم الرقبة الكافرة في الظهار واليمين، بل لابدَّ من رقبة مؤمنة كما هي في كفارة القتل الخطأ.

وقالت طائفة أخرى لا يُحملُ المُطلق على المُقيَّد إلا بدليل ولا دليل هنا فيبقى المطلق على إطلاقه فيجوز عتق الرقبة الكافرة في كفَّارة الظهار واليمين.

خامسا: ومن أسباب الاختلاف العموم والخصوص

والعام هو اللفظ الواحد الدال على مُسَمَّين فأكثر في وقت واحد(١) ومثاله قوله تعالى «وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا»(٢).

فلفظ السارق وكذا السارقة عام يشمل كُلَّ مَنْ سَرَق او سرقت من غير حصر في عدد مُعين ومن غير تخصيص.

والفرق بين العموم والاشتراك اللفظي أنَّ المشترك لفظ واحد يطلق على مسمين فأكثر إلا أنَّه ليس في وقت واحد فالعين تطلق على الباصرة، والحسد، وعين الماء، لكن هذا الاطلاق ليس في وقت واحد فإمَّا يُراد بها هذا أو ذاك اما السارق فيطلق على أكثر من واحد في وقت واحد.

والخاص هو اللفظ الواحد الدال على مفرد معين، ومثاله لفظ «المائة» في قوله تعالى «ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ»(٣).

---

(١) الاحكام في اصول الاحكام: الآمدي جـ: ٢ص: ١٩٦.

(٢) سورة المائدة: من الآية: ٣٨.

(٣) سورة النور: من الآية: ٢.

ولفظ الثمانين في قوله تعالى «وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً »(١). فهذه الأعداد تدل على العدد المعين الذي وضعت له لا يشترك معها فيه معنى آخر.

ومن أمثلته أيضاً الركوع والسجود المشار إليهما في قوله تعالى «ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ»(٢) فإنَّ دلالة اللفظ عليهما قطعية لا يَحْتَمِل معنى آخر غير المعنى المراد.

وقد يُستعمل اللفظ العام محل الخاص حسب ما يقتضيه الحال كقوله تعالى «ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ »(٣).

فالناس الأولى عامَّة والمرادُ بها خاص وهو نُعيم بن مسعود، والناس الثانية عامة لكن المراد بها أبو سفيان وأصحابه.

والعموم والخصوص من أسباب الاختلاف بين المفسرين، فقد يختلفون في عموم لفظ أو خصوصه كاختلافهم في عموم أو خصوص قوله تعالى: «وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ »(٤) فقيل: إن لفظ المشركات عام يشمل الوثنيات والكتابيات. وقيل: خاص بالوثنيات. وعلى القول الأول فإن قوله تعالى: «وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ »(٥) مخصص لهذه الآية، وعند الآخرين غير مخصص لأنه لا يشمل الكتابيات أصلاً.

سادساً: ومن أسباب اختلاف المفسرين الحقيقة والمجاز:

والحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ لَه(٦) والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضِعَ له على وجه يصح مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي(٧).

---

(١) سورة النور: من الآية: ٤.
(٢) سورة الحج: من الآية: ٧٧.
(٣) سورة آل عمران: من الآية: ١٧٣.
(٤) سورة البقرة: من الآية: ٢٢١.
(٥) سورة المائدة: من الآية: ٥.
(٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني، ص: ٢١.
(٧) شرح العقائد النسفية: التفتازاني ص: ١٧١.

وقد وقع اختلاف بين العلماء في وقوع المجاز فقالت بوقوعه طائفة وأنكرته أخرى.

ومثاله اختلاف العلماء في تفسير قوله تعالى: «وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ»(١). فقد قال الحسن والكلبي في تفسيرها: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار، وقال سهل بن عبد الله: أضحك المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط(٢) وهذا التأويل وذاك بالمعنى الحقيقي للضحك والبكاء. وقال الضحاك: (أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر)(٢) وهذا تأويل بالمعنى المجازي.

ومنه ـ أيضاً ـ فهم ذلك الصحابي للخيط في قوله تعالى: ـ «حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود»(٣) بمعناه الحقيقي حيث وضع عند رأسه عقالين أحدهما أبيض والآخر أسود حتى بين له الرسول صلى الله عليه وسلم أن المراد بهما بياض النهار وسواد الليل.

ومنه ما ورد في صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى في وصف امرأة أبي لهب «حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ»(٤) حيث روى عن مجاهد قوله: «حمالة الحطب: تمشي بالنميمة»(٥) وقال سعيد بن جبير: «حمالة الخطايا والذنوب»(٦) وهذان على المعنى المجازي. وفسره بعضهم بالمعنى الحقيقي لحمل الحطب فقيل في النار، وقيل: إنها كانت تحمل الغضى والشوك فتطرحه في الليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن أنس ومرة الهمداني»(٦).

سابعاً: ومن أسباب اختلاف المفسرين الإضمار والإظهار:

وبيان ذلك أنَّ المراد قد يكون ظاهراً لا لبْسَ فيه ولا اختلاف كقوله تعالى «وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ»(٧) فإنَّ فاعل المجيء ظاهر لا لبس فيه، وكذا فاعلُ التكليم.

ويختلف المفسرون أحياناً في مرجع الضمير إذ كان الفاعل مضمراً

---

(١) سورة النجم: الآية: ٤٣.
(٢) فتح القدير: الشوكاني: جـ ٥ ص: ١١٦.
(٣) سورة البقرة: من الآية: ١٨٧.
(٤) سورة المسد: من الآية: ٤.
(٥) صحيح البخاري: جـ ٦ ص: ٩٥ وهو قول قتادة السدي أيضاً (فتح القدير: جـ ٥ ص: ٥١٢).
(٦) فتح القدير: الشوكاني: جـ ٥ ص: ٥١٢.
(٧) سورة الأعراف: من الآية: ١٤٣.

نحو قوله تعالى «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ »(١).

فقيل هو جبريل عليه السلام وهو قول أمِّ المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذرّ وأبي هريرة رضي الله عنهم، وقيل دنا الربُّ من محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم(٢).

ثامناً: ومن أسباب اختلاف المفسرين النسخ والإحكام:

ومن أمثلة الاختلاف في القول بالنسخ اختلافهم في قوله تعالى: «وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ »(٣).

فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ما يدل على أنها مُحكمة وأنَّ المراد أنها نزلت في اشتباه القبلة(٤) وروى ابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على أنَّها مُحكَمه وأنَّ المراد بها صلاة التطوع(٥) وعلى كلا القولين فإنَّها مُحْكَمَة غير منسوخة وهو ـ أيضاً ـ قول سعيد بن المسيب وعطاء والشعبي والنخعي(٦).

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها منسوخة، فقد روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نُسِخ من القرآن ـ فيما ذُكِرَ

---

(١) سورة النجم: الآيتين: ٨ ـ ٩.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص:٢٦٦، وانظر تفسير الطبري جـ٢٧ ص:٢٦.

(٣) شرح الكوكب المنير: الفتوحي الحنبلي ص:٢٥٤. (٣) سورة البقرة: من الآية: ١١٥.

(٤) روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية كنت فيها فأصابتنا ظُلْمَةٌ فلَمْ نعرف القبلة، فقالت طائفة: القبلة هاهنا فصَلُّوا وخطّوا خطّاً، وقال بعضهم: هاهنا، فصلّوا وخطّوا خطّاً، فلما أصبحنا أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قَفَلْنا من سفرنا سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكت، فأنزل الله تعالى «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ » نواسخ القرآن: ابن الجوزي ص:١٣٩ والحديث رواه الدارقطني في سننه جـ١ ص:٢٧١ والبيهقي في سننه جـ٢ ص:١٠.

(٥) روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلى وهو مُقْبلٌ من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ » رواه مسلم جـ١ ص:٤٨٦.

(٦) نواسخ القرآن: ابن الجوزي ص:١٤٠.

لنا والله أعلم ـ شأن القِبلَةِ، قال: «وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ»(١). فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق، ثم صرفه الله إلى البيت العتيق فقال: «سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ»(٢). يعنون بيت المقدس، فنسخها وصُرِفَ إلى البيت العتيق فقال: «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ»(٣).

تاسعا: ومن أسباب اختلاف المفسرين في تفسير الآية:

الاختلاف في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد يبلغ أحَدَهم حديثُ الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يبلغ الآخرَ فيختلف تفسيرُ كلِّ مُفسِّرٍ عن الآخر. ومثاله في قوله تعالى «وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ»(٤) وقوله تعالى «وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ»(٥)، فقد استند علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم إلى هاتين الآتين في أنَّ المرأة التي تُوفي عنها زوجُها تَعْتدّ بأبْعَدِ الأجلين.

اما ابن مسعود رضي الله عنه فقد قال: من شاء قاسمته بالله أنَّ هذه الآية أنزلت في سورة النساء القُصرى(٦) نزلت بعد الأربعة الأشهر ثم قال: «أجلُ

---

(١) سورة البقرة: من الآية: ١١٥.

(٢) سورة البقرة: من الآية: ١٤٢.

(٣) سورة البقرة: من الآية: ١٤٤.

(٤) سورة البقرة: من الآية: ٢٣٤.

(٥) سورة الطلاق: من الآية: ٤.

(٦) هي سورة الطلاق.

الحامل أنْ تَضَعَ ما في بطنها»(١).

و يشهد لابن مسعود رضي الله عنه حديث سُبَيْعة الأسلمية فقد تُوفِّيَ عنها زوجها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تَنْشَبْ أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تَعَلَّت من نِفَاسِها تَجَمَّلت للخُطَّابِ، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكَك فقال لها مالي أراك مُتَجَمِّلة؟ لعلك ترجين النكاح، إنَّك والله ما أنت بناكحٍ، حتى تَمُرَّ عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سُبيعة فلمَّا قال لي ذلك، جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيتُ فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك؟ فأفتاني بأني قد حَلَلْتُ حين وضعت حَملي وأمرني بالتزوج إنْ بَدَا لي»(٢).

وقد رجع عليٌّ وابن عباس رضي الله عنهم عن قولهما بعد أنْ بلغهما حديث سُبيعة، فقد روى مسلم في صحيحه أنَّ أبا سَلَمَة بن عبد الرحمن وابن عباس اجتمعا عند أبي هريرة وهما يذكران المرأة تَنْفَس بعد وفاة زوجها بليال فقال ابن عباس عدَّتُها آخرُ الأجلين وقال أبو سلمة قد حَلَّت، فجعلا يتنازعان ذلك قال فقال أبو هريرة: أنا مع ابن اخي (يعني أبا سلمة) فبعثوا كُريباً (مولى ابن عباس) إلى أمِّ سَلَمَة يسألها عن ذلك فجاءهم فأخبرهم أنَّ أمَّ سَلَمَة قالت: ان سبيعة الأسلمية نفسَتْ بعد وفاة زوجها بليالٍ وأنها ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تتزوج(٣).

تلكم أهم أسباب اختلاف المفسرين في التفسير وهناك أسباب أخرى غيرُها و يكفينا منها ما ذكرنا والله أعلم.

---

(١) تفسير الطبري: جـ ٢٨ ص: ٩٢ــ٩٣.

(٢) صحيح مسلم جـ: ٢ص: ١١٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص: ١١٢٣.

أساليب التفسير

يتداول كثير من الباحثين في أصول التفسير ومناهجه بعض المصطلحات الحديثة في علم التفسير ومنها:

١ ــ الاتجاه.

٢ ــ المنهج.

٣ ــ الأسلوب أو الطريقة.

والحقيقة أنَّ تلكم الكلمات الثلاث مصطلحات حديثة لا تكاد تجد لها ذاكراً عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل، وحتى أصحابها في العصر الحديث لا تكاد تجدهم يتفقون على معنى واحد لكل منها، ولهذا ترى كثيرا منهم يُعَبِّر بهذه الكلمة مرة و بالأخرى مرة عن مدلول واحد، وترى آخرين منهم يذكرون تعريفاً لكل مصطلح منها، و يذكر غيرُهم غيره.

والذي أراه أنَّ:

الاتجاه: هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون.

أما **المنهج** فهو السبيل التي تؤدي إلى هذا الهدف المرسوم.

وأما **الطريقة** فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه.

وأضرب للتوضيح مثلًا: جماعة يريدون السفر إلى مدينة واحدة، فانطلقوا واتجاههم تلكم المدينة، لكنهم سلكوا مناهج مختلفة، منهم من سلك المنهج البري الأول، ومنهم من سلك المنهج الثاني، ومنهم من سافر

جوّاً ومنهم من سافر بحراً وغير ذلك، وهذه كلها مناهج لاتجاه واحد.

أما الطريقة فتظهر حيث أن أحَدَ هؤلاء اتجه اتجاهاً مباشراً إلى الهدف، وجعل آخرون سَفرَهم سياحة فلا يمرون باستراحة إلا واستراحوا فيها، ولا يمرون بمدينة أو بقرية إلا ويتجولون فيها، ولا يمرون بروضة أو حديقة إلا ويقصون سحابة يومهم فيها، ولا يمرون بوادٍ أو بجبلٍ إلا ويملأون النظر من تأمله، يفعلون هذا وهم سائرون على المنهج المؤدي إلى الاتجاه المراد لا يخرجون عنه بعيداً.

فإن شئت تطبيقه على التفسير فبيانُ ذلك أنَّ الهدف أو (الاتجاه) قد يكون مسائل العقيدة وتقريرها و بسط معالمها والذود عنها وما يتعلق بهذا، و يظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير، فيكون الاتجاه لهذه التفاسير (الاتجاه العقدي).

و يسلك كلٌّ واحد من هؤلاء المفسرين سبيلاً خاصاً لتقرير العقيدة فيسلك أحدهم أصول عقيدة السلف (أهل السنة والجماعة) فيكون منهجه «منهج اهل السنة والجماعة» و يسلك آخر أصول عقيدة الشيعة فيكون منهجه «منهج الشيعة» و يسلك ثالث أصول المعتزلة فيكون منهجه «منهج المعتزلة» و يسلك رابع أصول الصوفية فيكون منهجه «منهج الصوفية» وهكذا.

وقد تختلف طرق هؤلاء في التفسير، بل قد تختلف طرق أصحاب المنهج الواحد، فيبدأ أحدهم بالنص أولا، ثم بيان المفردات ثم المعنى الاجمالي للآيات، ثم يستخرج أحكامها و يتتبع الآيات واحدة واحدة حسب ترتيبها في المصحف، ويختلف آخر فيذكر النصَّ أولا، ثم يمزج بين

المفردات والمعنى الاجمالي للنص، ويختلف ثالث فيجمع الآيات المتفرقة التى تتناول قضية واحدة فيتناولها بالتفسير من غير مراعاة لترتيبها في المصحف فعنايته بالموضوع لا بالترتيب، وقد يقتصر المفسر على رأيه وقد يورد آراء المفسرين و يقارن بينها، ثم يختار ما يراه الأصح منها، وهذا كله ما نقصده بطريقة المفسر أو أساليب التفسير(١).

ولعله ــ بعد هذا ــ قد اتضح الفرق بين المصطلحات الثلاثة (الاتجاه) (المنهج) (الأسلوب) وإذا كان الامر كذلك فإن ما يعنينا هنا هو بيان أساليب التفسير.

وللمفسرين في التفسير أساليب أربعة هي:

١ ــ التفسير التحليلي.

٢ ــ التفسير الإجمالي.

٣ ــ التفسير المُقَارن.

٤ ــ التفسير الموضوعي.

أولا: التفسير التحليلي:

وهو الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، و يبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها، و وجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.

و يتميز هذا الأسلوب **بمزايا** منها:

١ ــ أنه أقدم أساليب التفسير فقد كان التفسير في نشأته الأولى يتناول

---

(١) انظر كتابي «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» جـ: ١ص: ٢٢ـــ٢٣.

الآيات المتتابعة ولا يتجاوزها المفسر إلى غيرها حتى يعرف معناها و بَيَّن هذا عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ بقوله: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن(١).

وروى أبو عبد الرحمن السلمي ــ رحمه الله تعالى: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يُخَلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا(٢). وهي الطريقة التي تلقى التابعون بها التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها(٣).

٢ ــ أنَّ هذا الاسلوب هو الغالب على المؤلفات في التفسير وأشهر التفاسير وأهمها قديماً وحديثاً أُلِّفت على هذا الأسلوب كتفسير الطبرى، والخازن والثعلبي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والشوكاني، وابن كثير، وغيرهم.

٣ ــ يتفاوت المفسرون في هذا اللون من التفسير بين الإيجاز والإطناب فمن التفاسير ما جاء في مجلد واحد بما فيه النص القرآني الكريم كله، ومنها ما جاء في أكثر من ثلاثين مجلداً.

٤ ــ يظهر التباين جَليّاً بين المفسرين ــ في هذا الاسلوب ــ من حيث الإتجاهات والمناهج فمنهم من التزم في تفسيره بالتفسير بالمأثور والنقل عن

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره جـ: ١ص: ٨٠ وقال احمد شاكر (هذا اسناد صحيح).

(٢) اخرجه الطبرى في تفسيره جـ: ١ص: ٨٠ وقال احمد شاكر (هذا حديث صحيح متصل).

(٣) اخرجه الطبري في تفسيره جـ: ١ص: ٩٠.

أئمة السلف والإلتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من التزم بمناهج المذاهب الأخرى ، ومنهم من أفسح لنفسه فتوسع في التاريخ والقصص والإسرائيليات ومنهم من اعتنى بالبلاغة ووجوه البيان ومنهم من توسع كثيراً في آيات الأحكام ومنهم من اعتنى بالآيات الكونية والتفسير العلمي ومنهم من استطرد في المسائل النحوية ومنهم من توسع في علم الكلام والفلسفة ومصطلحات الصوفية.. وغير ذلك.

وهذا اللون من التفسير وإن جمع بين مناهج عدّة يُسَمَّى (التفسير التحليلي) الذي يعتمد على وحدة الآية(١).

ثانيا: التفسير الإجمالي:

وهو الأسلوب الذي يَعْمَدُ فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف فيبين معاني الجمل فيها متتبعاً ما ترمي اليه الجمل من أهداف و يصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمُها وتتضح مقاصدها للقارىء والمستمع.

و بعبارة أخرى التفسير الاجمالي هو ان يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورة سورة إلا أنه يقسم السورة الى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالاً مبرزاً مقاصدها، موضحاً معانيها، مظهراً مراميها، ويجعل بعض «ألفاظ» الآيات رابطاً بين النص وتفسيره فيُورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارىء أو السامع بأنه لم يَبْعُد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يُجانب الفاظه وعباراته ومُشعراً بما انتهى إليه في تفسيره من النص(٢).

---

(١) دراسات في التفسير الموضوعي: د. أحمد جمال العمري ص٤٠.

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: للمؤلف جـ: ٣ص: ٨٦٢.

والتفسير الإجمالي أشبه ما يكون بـ«الترجمة المعنوية» التي لا يلتزم المترجم فيها بالألفاظ وإنما يقصد إلى بيان المعنى العام وقد يضيف إليه ما تدعو الضرورة إليه كسبب نزول، أو قصة، ونحو ذلك.

وأكثر من يستعمل هذا اللون من التفسير المتحدثون في الإذاعة والتلفاز لمناسبته لمدارك عامة الناس وعدم خوضه في مباحث أو مسائل تعلو على أفهامهم ويُستعمل ـ أيضاً ـ كمقدمة توضيحية لبعض تسجيلات التلاوة لإعطاء المستمع فكرة عامة ليسهل عليه فهم ما سُيتلى من النص القرآني الكريم.

ومن أمثلة المؤلفات بهذا الأسلوب من التفسير:

١ ـ تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن سعدي.

٢ ـ التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري.

٣ ـ تفسير الأجزاء العشرة الاولى: محمود شلتوت. وغيرها.

ثالثا: التفسير المقارن:

وهو الذى يعمد المفسر فيه إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء كانت نصوصاً قرآنية أخرى، أو نصوصا نبوية (احاديث)، أو للصحابة، أو للتابعين، أو للمفسرين، أو الكتب السماوية الأخرى، ثم يُقارن بين هذه النصوص، ويُوازن بين الآراء، ويستعرض الأدلة، ويبين الراجح وينقض المرجوح.

وبهذا يظهر أنّ مجال هذا الأسلوب أوسع، وميدانه أفسح وأنّ له وجوهاً متعددة للمقارنة، منها:

١ ـ المقارنة بين نص قرآني ونص قرآني آخر اتفاقا أو ظاهره الاختلاف ومن هذا النوع علم تأويل مشكل القرآن، والمؤلفات فيه معلومة. وقد

تكون المقارنة بين النصين القرآنيين لإبراز معاني لا يُوصل إليها أحد النصين، إذ أن أحدهما مكمل للآخر، فقد تختلف العبارة بين النصين إيجازاً وإطناباً، أو إجمالاً وبياناً، أو عموماً وخصوصاً[1] وغير ذلك، وقد يظهر ذلك جليا في جانب القصص القرآني حيث أنَّ جمع نصوص القصة الواحدة في القرآن يؤدي إلى تكامل القصة وترابط الأحداث.

فضلا عن أن المفسر يستنبط الأسباب و يكشف عن الأسرار والحكم التي من أجلها كان الاختلاف بين التعبيرين، والمغايرة بين الأسلوبين، بلفظ مرة و بآخر أخرى، و بصيغ مختلفة[2].

٢ ــ المقارنة بين نصٍ قرآني وحديث نبوي يتفق مع النص القرآني أو ظاهره الإختلاف كذلك[1]، ويبحث العلماء ذلك في المؤلفات في مشكل القرآن ومشكل الحديث أيضا.

٣ ــ وقد تكون المقارنة بين نصٍّ قرآني و بين نصٍّ في التوراة، أو نصٍّ في الإنجيل لإظهار فضل القرآن، ومزيَّته، وهيمنته على الكتب السابقة. وكشف وجوه التحريف والتبديل فيها، فيما وقع فيه اختلاف، وتوضيح المعنى القرآني وجلاء بعض معانيه وتكملة المشهد الذي يتناوله النص القرآني فيما وقع الا تفاق فيه بين القرآن والكتب السابقة.

والمؤلفات على هذا الاسلوب أيضا كثيرة وأغلبها حديث مثل (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) لموريس بوكاي.

---

(١) انظر الأمثلة على ذلك في مبحث (طرق التفسير) تفسير القرآن بالقرآن. وفي أوجه بيان السنة للكتاب وسبقت الإشارة إلى نحو هذا في أول الحديث عن منهج الصحابة رضي الله عنهم في التفسير.

(٢) انظر دراسات في التفسير الموضوعي: د. أحمد جمال العمري ص ٤٦.

وكتاب «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن» للاستاذ ابراهيم خليل وغير ذلك.

٤ ــ وقد تكون المقارنة بين أقوال المفسرين، حيث يستطلع آراء المفسرين في الآية الواحدة مهما اختلفت مشاربهم، وتعددت مذاهبهم، و يذكر أدلة كل قول وحججه، و يناقش الأقوال، و ينقد الأدلة، و يرجح ما يراه راجحاً، و يُبطل ما يرى بطلانه.

وأحسب أنَّ مِنْ أقدم المفسرين الذين سلكوا هذا المسلك هو امام المفسرين الطبري رحمه الله تعالى حيث جرى على ذكر أقوال أهل التأو يل في كل آية ثم يذكر أدلة كلِّ قول، و يقارن بينها، و يرجح أحدها و يُضعّف ما يرى ضعفه.

رابعا: التفسير الموضوعي:

وهو أسلوب لا يُفَسِّر فيه صاحبه الآيات القرآنية حَسْبَ ترتيب المصحف بل يجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد فيفسرها.

ولذا فإن التفسير الموضوعي هو: جمعُ الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد وتفسيرها مجتمعة واستنباط الحكم المشترك منها ومقاصد القرآن فيها.

وقيل هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر(١).

وقد نشأ (التفسير الموضوعي) في عهد مبكر في الإسلام فقد نشأ في عهد

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: الدكتور مصطفى مسلم ص١٦.

النبوة ولا يزال إلى يومنا هذا، إلا أن مصطلح (التفسير الموضوعي) وإطلاقه على هذا الأسلوب من التفسير لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر ونستطيع ان نجد **(التفسير الموضوعي) في صور متعددة عند السلف منها:**

١ ــ تفسير القرآن بالقرآن:

إذ أنَّ جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد وتفسير بعضها ببعض هو أعلى درجات التفسير الموضوعي، وأعظمها ثمرة وأكثرها فضلا.

وكان أسبق الناس إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يفسر لأصحابه القرآن بالقرآن والأمثلة على ذلك كثيرة فقد روى البخاري(١) أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَسَّرَ مَفْاتِحَ الغيب في قوله تعالى «وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ»(٢) فقال: «مفاتح الغيب خمس» «إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»(٣)

وأدرك ذلك الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يجمعون الآيات المتشابهة و يفسرون بعضها ببعض فإن أشكل عليهم تفسيرها رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فبينه لهم.

٢ ــ تفسير آيات الأحكام:

فقد اتجه طائفة من قدامى المفسرين إلى تتبع آيات الأحكام الفقهية

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير جـ: ٥ص: ١٩٣.

(٢) سورة الانعام: من الآية: ٥٩.

(٣) سورة لقمان: الآية: ٣٤.

في القرآن الكريم دون غيرها وتفسيرها على هذا النحو. ومن أشهر المؤلفات في ذلك:

١ ــ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

٢ ــ أحكام القرآن للجصّاص.

٣ ــ أحكام القرآن لابن العربي.

٤ ــ نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لمحمد صدّيق حسن.

وغيرها.

ولا شك أنَّ هذا لون من ألوان التفسير الموضوعي.

٣ ــ الأشباه والنظائر:

و يقوم المفسر فيه بتتبع كلمة قرآنية واحدة في القرآن الكريم و بيان معناها في كل موضع ومن ثَمَّ معرفة استعمالات القرآن الكريم لها ودلالاتها المختلفة.

ومن أشهر المؤلفات في هذا:

١ ــ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان.

٢ ــ التصاريف: يحي بن سلام.

٣ ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي.

٤ ــ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزي.

٥ ــ كشف السرائر في معرفة الوجوه والأشباه والنظائر: ابن العماد.

٦ ــ الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها: الثعالبي.

والغالب على هذا اللون من التفسير الجانب اللغوى إذ أنه يعتنى بالكلمات التى يتَّحدُ لفظها ويختلف معناها حسب استعمالها ولا شك أنَّ

هذا لون من الوان التفسير الموضوعي.

٤ ـــ الدراسات التفسيرية:

ولم تقتصر جهود العلماء السابقين على الجوانب اللغوية للكلمات القرآنية بل جمعوا الآيات التي تشترك في موضوع واحد او قضية واحدة كالنسخ، والقسم، والمُشْكِل، والأمثال، وغيرها فجمعوها ثم تناولوها من الجانب المراد.

فجمعوا الآيات الناسخة والآيات المنسوخة، وجمعوا الآيات التي يبدو التعارض بينها ظاهراً، وما ذهب من الآيات مذهب المثل، وجمعوا ما فيه قَسَمٌ من الآيات القرآنية وغير ذلك والمؤلفات على هذا النحو كثيرة منها:

١ ـــ الناسخ والمنسوخ: أبو عبيدة القاسم بن سلام.

٢ ـــ تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة.

٣ ـــ أمثال القرآن: للماوردي.

٤ ـــ التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم.

٥ ـــ مجاز القرآن: العزّ بن عبد السلام.

وبهذا يظهر لنا ـــ يقينا ـــ أنَّ التفسير الموضوعي وإن تأخرت تسميته بهذا الإسم فإنه من علوم السابقين ومن مبتكراتهم.

ولا شك أنَّ المؤلفات في التفسير الموضوعي قد كثرت في العصر الحديث وأصبحت المكتبة القرآنية تزخر بالمؤلفات فيه فهو ميدان خصب للباحثين.

ولخدمة الباحثين في هذا الموضوع فقد اتجهت العناية إلى جمع الآيات القرآنية وترتيبها حسب موضوعاتها ومن أشهر المؤلفات في هذا كتاب

المستشرق الفرنسي جول لابوم (تفصيل آيات القرآن الكريم) حيث قسَّمها الى نحو ٣٥٠ موضوعا. إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أنه حتى الآن لم يكتب أحد تفسيراً موضوعياً شاملاً للقرآن الكريم.

أنــواع التفسير الموضوعي:

ينقسم التفسير الموضوعي إلى ثلاثة أنواع هي:

الأول: أن يتتبع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم، ويجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم يقوم بتفسيرها واستنباط دلالاتها واستعمالات القرآن الكريم لها.

وقد اهتمت بهذا الموضوع من التفسير كتب الأشباه والنظائر: إلا أنها وقفت عند حَدّ بيان دلالة الكلمة في موضعها من غير ربط بين مواضع ورودها، واستعمالاتها في كل موضع، فبقي تفسيرهم للكلمة في دائرة (الدلالة اللفظية)(١).

ثم اتسع هذا اللون من التفسير فتتبع المفسرون الكلمة وحاولوا الربط بين دلالتها في مختلف المواضع وأظهروا بهذه الطريقة معاني جديدة، وألوانا من البلاغة ووجوهاً من الإعجاز القرآني، واستنبطوا دلالات قرآنية دقيقة لا تظهر بغير هذا المسلك.

ومن المؤلفات على هذا النوع من التفسير:

١ ــ (كلمة «الحق» في القرآن الكريم) للشيخ محمد بن عبد الرحمن الراوي.

٢ ــ المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله، الربُّ، العبادة، الدين)

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم ص: ٢٣.

لأ بي الأعلى المودودى.

٣ ـ الأمة في دلالتها العربية والقرآنية للدكتور أحمد حسن فرحات.

٤ ـ (الحمد) في القرآن الكريم للدكتور محمد محمد خليفة.

٥ ـ من مفردات القرآن (المنافقون) للدكتور محمد جميل غازي.

٦ ـ تأملات حول وسائل الإدراك في القرآن الكريم (الحس، والعقل، والقلب، واللب، والفؤاد) للدكتور محمد الشرقاوي.

النوع الثاني:

جمع الآيات القرآنية التى تتناول قضية واحدة بأساليب مختلفة عرضا وتحليلاً ومناقشة وتعليقاً، و بيان حُكم القرآن فيها.

والمفسر على هذا النحو يجعل هَمَّه الموضوع ذاته وما يؤدي إليه فلا يُشْغِل نفسه بذكر القراءات، ووجوه الإعراب، وصور البلاغة، إلا بمقدار صلتها بالموضوع وما تخدم منه.

وهذا النوع هو أشهر أنواع التفسير الموضوعي وأكثرها تأليفا ودراسة وإذا اطلق مصطلح (التفسير الموضوعي) فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه(١).

والمؤلفات فيه كثيرة متعددة قديماً وحديثاً، بل إنَّ الكتب التي تتناول (إعجاز القرآن) أو (الناسخ والمنسوخ) أو (أحكام القرآن) أو (أمثال القرآن) أو(قصص القرآن) أو(جدل القرآن) أو(بلاغة القرآن) أو(القسم في القرآن) أوغير ذلك ما هي إلا من هذا النوع من التفسير.

أما في العصر الحديث فقد أضافت إلى هذه العلوم موضوعات

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم ص٢٧.

إجتماعية واقتصادية، وسياسية، وغير ذلك، ومنها:

١ ــ آيات الجهاد في القرآن الكريم: كامل سلامة الدقس.

٢ ــ المال في القرآن: محمود غريب.

٣ ــ دستور الأخلاق في القرآن: د. محمد عبد الله دراز.

٤ ــ التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم: حنفي أحمد.

٥ ــ القرآن والطب: محمد وصفي.

٦ ــ التربية في كتاب الله: محمود عبد الوهاب.

وموضوعات أخرى كثيرة.

النــوع الثالث:

هو تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها.

وهذا النوع ــ كما ترى ــ قريب من النوع الثاني، إلا أن دائرته أضيق.

ومن المعلوم أنَّ لكل سورة من السور القرآنية شخصيتها المستقلة وأنَّ لها هدفا واضحا ترمي إلى ايضاحه و بيانه، وإدراك هدف السورة يكشف للباحث معاني دقيقة، ومناسبات لطيفة، وصوراً بليغة.

وممن تميز تفسيره بالعناية ببيان مقاصد السور وأهدافها سيد قطب ــ رحمه الله تعالى ــ حيث التزم أن يُقَدِّم لكل سورة مقدمة يبين فيها أهدافها و ينطلق في تفسيرها على هذا المحور مما أعطى تفسيره صبغة لا تكاد تجدها فيما سواه.

ومن المؤلفات في هذا النوع من التفسير:

١ ـ تصور الألوهية كما تعرضه سورة الانعام: د. ابراهيم الكيلاني.

٢ ـ نماذج من الحضارة القرآنية في سورة الروم: د. عبد المنعم الشفيع.

٣ ـ قضايا العقيدة في ضوء سورة ق: كمال محمد عيسى.

٤ ـ قضايا المرأة في سورة النساء: د. محمد يوسف.

٥ ـ سورة الواقعة ومنهجها في العقائد: محمود غريب.

و يظهر بهذا العرض السريع أنَّ التفسير الموضوعي من أهم أساليب التفسير وله مزايا عديدة ليس هذا مجال بيانها.

طـرق التفسـير

نـزل الـقرآن الكريم بلسان عربي مبين، وقد كان الصحابة رضي الله عنـهم عـربـاً خُـلَّصاً يَفْهَمُون القرآن بمقتضى اللغة، لكن اللغة وحدها لا تـكـفـي لـفـهـم بـعض معاني القرآن الكريم، بل لابد من معرفة ما يحيط بـالآيـة مـن أحـداث ومـلابسـات كـأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والـعـمـوم والخـصـوص وغير ذلـك فـضلاً عن القدرة على الاستنباط، ودقة الفهم.

لـذا فـقـد كـان الـصـحـابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا يـتـفـاوتون في فهم القرآن الكريم، و يُشكل على بعضهم ما لا يُشكل على الآخر، ولـو تـسـاوت الأذهـان في ادراك مـعـانـي الـقـرآن لبطل التنافس وخمدت الهـمـم، لـزوال مـا يحـمـلـهـا على القدح وإعمال الذهن والتفكير والـتـدبـر، لـكـن الله ــ جلت حـكمته ــ جعل ألفاظ القرآن تحتمل ــ أحـيـانـا ــ مـعاني كثيرة، وأمر الناس بالتدبر والتفكر فيها وحثَّ الناس على ذلـك فـقـال سـبـحـانـه «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ»(١). وقال سبحانه وتعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا»(٢). وقـال عز وجل «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ»(٣). ولهذا فـقـد تـنـافـس الصحابة رضى الله عنهم والمسلمون من بعدهم في التدبر في آيات الـقـــرآن، و بـيـان معــانيه، واستنباط حكمه وأحكامه فإن وجدوا في الـقـــرآن ما يُفَسِّر بعضه بعضا

(١) سورة ص: الآية: ٢٩.

(٢) سورة النساء: آية: ٨٢.

(٣) سورة محمد: آية: ٢٤.

أخذوا به وإلا رجعوا إلى سنة الرسول صلى الله عـليـه وســلم، فإن وجدوا وإلا رجعوا إلى أقوال الصحابة رضى الله عنهم، فـإن أعـيـاهم ذلك اجتهدوا رأيهم. و بهذا يظهر أنَّ طرق التفسير ومصادره تنقسم إلى طريقين:

١ ــ التفسير بالمأثور.

٢ ــ التفسير بالرأي.

وسنتناول ذلك بشيء من البيان.

أولا: التفسير بالمأثور:

والمراد به ما جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقِلَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نُقِلَ عن أصحابه رضي الله عـنهم من ذلك واختلفوا فيما نُقِلَ عن التابعين رحمهم الله تعالى هل هو مـن الـتـفـسير بـالمـأثـور أم لا، وعلى هذا فإنهم يُعَرِّفُونَ التفسير بالمأثور بأنه: «الـتـفـسير الـذى يـعـتـمـد على صـحـيـح المـنقول والآثار الواردة في الآية فـيـذكـرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، و يتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح».

فضلـــه ومكانتـــه:

والتفسير بالمأثور أفضل أنواع التفسير وأعلاها لأنه:

إمَّا أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الله تعالى فهو أعلم بمراده.

وإمَّا أن يكون تفسيراً له بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الـمُبيِّـن لكلام الله تعالى.

وامّـا أن يـكون بأقوال الصحابة فهم الذين شاهدوا التنزيل وهم أهل

اللسان وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.

ولكن ينبغي أن يعلم أن هذا مشروط بصحة السند عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضي الله عنهم.

و ينبغي أن نتفطن إلى أن **التفسير بالمأثور قد دخله الوضع وسرى فيه الدَسُّ والخرافات و يرجع ذلك إلى أسباب منها:**

١ ــ ما دسه أعداء الإسلام مثل زنادقة اليهود الذين تظاهروا بالإسلام لدَسّ الأخبار المحرفة التى يجدونها في كتبهم.

٢ ــ ما دسه أصحاب المذاهب الباطلة والنحل الزائفة كالرافضة الذين افتروا الأحاديث ونسبوها زوراً و بهتانا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الى أصحابه رضي الله عنهم.

٣ ــ نقل كثير من الأقوال المنسوبة إلى الصحابة بغير إسناد مما أدّى إلى اختلاط الصحيح بغير الصحيح والتباس الحق بالباطل.

ولذا فإنه ينبغي التثبت عند الرواية للتفسير بالمأثور وعلى هذا فإنَّ **التفسير بالمأثور نوعان:**

أحدهما: ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله.

ثانيهما: ما لم يصح لسبب من الأسباب السابقة وهذا يجب رَدُّه ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به إلا لتمحيصه أو التنبيه إلى ضلاله حتى لا يغترَّ به أحد(١).

وليس من الحق الاعتقاد بأنَّ التصنيف في التفسير بالمأثور عمل آلي

---

(١) انظر مناهل العرفان: الزرقاني جـ: ١ص: ٤٩٣.

ليس لصاحبه من عمل فيه إلا النقل.

بل إنَّ هذا النوع من التفسير يحتاج إلى جهد من المفسر وجهد من القارىء للتفسير لتحرى مذهب المفسر.

جَهْدٌ من المفسر ليجمع حول الآية «ما يرى» أنها متجهة إليه فيقصد إلى «ما يتبادر إلى ذهنه» من معناها. وتحت هذا التأثير قد يقبل مرو ياً و يعنى به، ولو لم يكن صحيحاً، و يرفض مرو ياً حين لا يرتاح إليه.

وجَهْدٌ من القارىء لاستشفاف مذهب المفسر وآرائه وتحري الآثار التى رفضها المفسر لعدم موافقتها له.

ومن ثَمَّ كان التفسير بالمأثور لصاحب الرأي من أخطر التفاسير حيث أن المفسر بالرأي ينص على رأيه صريحاً، بينما ذو الرأي المفسر بالمأثور يُلْبِسُ آراءه ثوب المأثور فيخدع به من لا يعرف صحيحه من ضعيفه(١).

مصادر(٢) التفسير بالمأثور:

وتسمى (طرق التفسير) وهي المصادر التي يَعْتَمِدُ عليها التفسيرُ بالمأثور و يصدُر عنها:

أوّلها: القرآن:

وهو أصح طرق التفسير، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أصح الطرق

---

(١) انظر كتابي (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) جـ: ٢ص ٥١٩ـ٥٢٠.

(٢) يستعمل لفظ المصدر لمعنيين: لغوي واصطلاحي.

المعنى اللغوي: الذي يدل على معنى (الصدور) أي عَمَّا يَصدر عنه التفسير بالمأثور وهو القرآن والسنة وما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم.

والمعنى الاصطلاحي: يطلق على المصنفات التى اعتنت بجمع التفسير بالمأثور حتى صارت مرجعاً يُرجع إليها فيه (انظر أصول التفسير وقواعده للأستاذ خالد العك)(ص١١٤ـ١١٥).

في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمِلَ في مكان فانه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر»(١).

فعلى من أراد أن يفسر القرآن أن ينظر في آيات القرآن الأخرى ويجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، فإنَّ ما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر، وما أشكل في موضع قد يوضح في موضع آخر، وما جاء في آيات مُطلقا قد يُقيَّد في آيات اخرى، وما ورد عاماً قد يدخله التخصيص في آيات أخرى، وما جاء مُوجزا في موضع قد يُفصَّل في موضع آخر، و بهذا يكون قد فَسَّرَ القرآن بالقرآن.

ومن امثلة تفسير القرآن بالقرآن:

تفسير الكلمات في قوله تعالى: «فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ»(٢) بقوله تعالى « قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ »(٣). وقوله تعالى «أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ »(٤). فسرتها آية « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ» (٥) الآية.

وقد ورد نفي (الخُلَّة) و(الشفاعة) يوم القيامة بقوله تعالى « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ »(٦).

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص: ٩٣.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٣٧.

(٣) سورة الاعراف: من الآية: ٢٣.

(٤) سورة المائدة : من الآية الاولى.

(٥) سورة المائدة : من الآية: ٣.

(٦) سورة البقرة: آية: ٢٥٤.

وقد استثنى من الخُلَّة خُلَّة المتقين في قوله تعالى «ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ»(١) واستثنى من الشفاعة ما أذن الله به منها «وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ»(٢).

ومنه قوله تعالى « مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ »(٣) فإنَّها عامة خصصت بقوله تعالى «وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ»(٤)

ثانيها: السنة النبو ية:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن أعياك ذلك ـــ يعني تفسير القرآن بالقرآن ـــ فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبوعبد الله محمد بن إدريس الشافعي: «كلُّ ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن» (٥).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى «السنة تُفَسِّرُ الكتاب وتُبينه»(٦).

وقد مرَّ بنا بيان اختلاف العلماء في المقدار الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن لكن ينبغي أن يُعلم أنَّ الوضّاعين قد دسّوا أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير ونسبوها إليه، فينبغي تحقيق الرواية في ذلك والتأكد من صحة نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تصدّى لهذا الأمر جهابذة العلماء الذين هَيَّأهم الله تعالى من

(١) سورة الزخرف: الآية: ٦٧.

(٢) سورة النجم: من الآية: ٢٦.

(٣) سورة النساء: آية : ١٢٣.

(٤) سورة الشورى: آية: ٣٠.

(٥) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، ص: ٩٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي جـ١ ص٣٩.

عباده العلماء وأمدَّهم بعونه وتوفيقه وهدايته تحقيقا لوعده عزَّ شأنه «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»(١). ولهذا لمَّا أراد هارون الرشيد أن يقتل زنديقا قال له الزنديق: أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم أحرِّم فيها الحلال، وأحلِّلُ فيها الحرام ما قال النبي صلى الله عليه وسلم منها حرفاً، قال له هارون: أين أنت ياعدو الله من أبي اسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلا فيخرجانها حرفاً حرفاً(٢).

أوجه بيان السنة للكتاب:

والعلاقة بين السنة والقرآن لها وجوه منها:

الوجه الأول: أنَّ السنة تُبيِّن ما أجمل في القرآن، وتوضح المشكل وتخصص العام، وتقيد المطلق.

فمن الأول: بيان مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وكيفيتها، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها، وأنواعها وبيان مناسك الحج، وكيفية أدائها.

ومن الثاني: تفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

ومن الثالث: تخصيص الظلم في قوله تعالى «ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ»(٣) فهو ظلم عام، إلا أنه خصِّص بقول الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه الشرك.

ومن الرابع: تقييده اليد في قوله تعالى «فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا»(٤)

---

(١) سورة الحجر: الآية: ٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: السيوطي ص١٩٤، والأسرار المرفوعة: ملا علي القاري ص٦٢.

(٣) سورة الانعام: من الآية: ٨٢.

(٤) سورة المائدة: من الآية: ٣٨.

باليمين وأنه إلى مفصل الكف.

الوجه الثاني: بيان معنى لفظ او متعلقه.

كبيان (المغضوب عليهم) باليهود و(الضالين) بالنصاري.

الوجه الثالث: بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم، كتحريم نكاح المرأة على عمّتها وخالتها، وصدقة الفطر، ورجم الزاني المحصن وميراث الجدة.

الوجه الرابع: بيان التأكيد.

وذلك بان تأتي السنة موافقة لما جاء في القرآن لتأكيده كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفسه**»(١). فإنّه يُوافق قوله تعالى «لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ»(٢) ونحو ذلك(٣).

و بهذا يظهر أنَّ السنة النبوية أهم مصادر التفسير بالمأثور مع القرآن الكريم.

ثالثها: تفسير الصحابة رضي الله عنهم:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى اقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم(٤).

---

(١) رواه الدار قطني في سننه جـ: ٣ص: ٢٦.

(٢) سورة النساء: من الآية: ٢٩.

(٣) رجعت في بيان هذه الوجوه إلى التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ ص: ٥٥ــ٥٧.

(٤) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيميه ص٩٥.

رابعها: تفسير التابعين رحمهم الله تعالى:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه آية في التفسير. وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى بن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المُسَيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك ابن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم(١).

هذه هي أهم مصادر التفسير بالمأثور.

حكم التفسير بالمأثور:

يجب الأخذ بالتفسير بالمأثور ولا يجوز العدول عنه إذا صَحَّ، والله اعلم.

ثانيا: التفسير بالرأى:

والمراد بالرأي: الإجتهاد. وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهاد(٢).

وقد يبذل المفسر جهده وتتوافر فيه شروط المفسر فيُحْمَدُ تفسيره، وقد يكون صاحب هوى أو لا تتوافر فيه شروط المفسر فيُذَمُّ تفسيره.

و بهذا يظهر أنَّ **التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين:**

ــ الأول: التفسير بالرأى المحمود.

ــ الثاني: التفسير بالرأى المذموم.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٢، ١٠٤.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ١ ص ٢٥٥.

التفسير بالرأى المحمود:

وهو التفسير المُسْتَمَدُّ من القرآن ومن سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان صاحبه عالماً باللغة العربية، خبيراً بأساليبها، عالماً بقواعد الشريعة وأصولها.

والمفسر ــ هنا ــ يبذل جهده ووسعه في فهم النص القرآني وإدراك معناه مستندا إلى اللغة، والنصوص، والأدلة الشرعية.

ولعل هذا النوع هو الذى دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما بقوله «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وفيه وقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في معنى الآية فأخذ كلُّ واحد برأيه على مقتضى نظره في المقتضى كما قال الزركشي(١).

حكمــه:

أجاز العلماء رحمهم الله تعالى التفسير بالرأى الذى يستند إلى اللغة، ونصوص الشريعة ولهم أدِّلة كثيرة على قبوله منها:

١ ــ قوله تعالى «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ »(٢).

وقوله تعالى «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ »(٣) وقوله سبحانه «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ »(٤) وغير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن وإعمال الذهن في آياته، والتذكر.

---

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ٢ ص١٦١.

(٢) سورة القمر: الآية: ١٧.

(٣) سورة محمد : الآية: ٢٤.

(٤) سورة ص : الآية: ٢٩.

٢ ــ واستدلوا بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأو يل» فلو كان التفسير مقصورا على النقل لَمَا كان لابن عباس مزية على غيره، فدل ذلك على أنَّ المراد أمر آخر وراء النقل والسماع وهو التفسير بالرأي والإجتهاد(١).

٣ ــ واستدلوا بأنَّ الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في تفسير القرآن على وجوه، فدل على أنَّه من اجتهادهم.

و بهذا يظهر أنَّ التفسير بالرأي المحمود جائز، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى «فأمَّا من تكلم ــ يعنى في التفسير ــ بما يُعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه»(٢).

التفسير بالرأي المذموم:

وهو التفسير بمجرد الرأي والهوى، فهو تفسير لا يستند إلى نصوص الشريعة وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل البدع والمذاهب الباطلة فقد اعتقدوا معتقدات باطلة وآراء زائفة ليس لها سند ولا دليل ثم أرادوا أن يستدلوا لها من القرآن الكريم فلم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه ففسروها بآرائهم وحملوها ما لا تحتمل كما قال ابن تيمية عن هؤلاء «إنَّ مِثْلَ هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم»(٣)

---

(١) التفسير والمفسرون الذهبي: جـ: ١ص: ٢٦٣.

(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص١١٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جـ١٣ ص٣٥٨.

حكمـــه:

وهـذا الـنوع من التفسير حرام لا يجوز، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فأمَّا تفسير القرآن بمُجَرَّد الرأي فحرام»(١).

والأدلـة على تحريمه كثيرة من الكتاب ومن السنة ومن أقوال الصحابة والتابعين.

فمـــن الكتـــاب:

قـولـه تـعـالى «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا»(٢) والتفسير بمجرد الرأى قول على الله بغير علـم وقـولـه تعالى «وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(٣) وقـوله «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»(٤) فأضاف البيان الى الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومـن السـنة:

حـديـث ابـن عباس رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنـه قـال «**مَن قـال في القرآن بغير علم فليَتَبوَّأ مقعده من النار**»(٥)، وحديث «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»(٦).

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص١٠٥.

(٢) سورة الاسراء: الآية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٦٩.

(٤) سورة النحل: الآية : ٤٤.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ١ ص٢٣٣ ورواه الترمذي في سننه جـ٥ ص١٩٩ كتاب «تفسير القرآن» وقال: «حديث حسن صحيح».

(٦) رواه الترمذي جـ ٥ص ٢٠٠ وابو داود جـ٣ ص ٣٢٠.

ومن اقوال الصحابة رضي الله عنهم:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى «روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم أنَّهم شَدَّدوا في أن يُفسَّرَ القرآن بغير علم»(١).

فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه «أيُّ أرض تُقلني وأيُّ سماء تظلني إذا قلتُ في كتاب الله ما لم أعلم»(٢) وفي رواية «إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم»(٣).

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر «وفاكهة وأبّا»(٤) فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبّ؟ ثم رَجَع إلى نفسه فقال إنَّ هذا لهو التكلُّف ياعمر(٤).

وعن ابن أبي مليكة أن ابن عباس سُئل عن آية لو سئل عنها بعضُكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها(٥) قال ابن تيمية ـ اسناد صحيح ـ(٦).

وسأل رجل جندب بن عبد الله عن آية من القرآن فقال له: أحرِّجُ عليك إن كنتَ مُسلِما لمَّا قُمتَ عَنِّي أو قال: أن تجالسنى(٧).

ومن أقوال التابعين رحمهم الله تعالى:

ما روى يحي بن سعيد عن ابن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن(٧)، وقال الشعبيُّ: والله ما من آية إلاّ وقد سألتُ عنها

---

(١) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٨.

(٣) تفسير الطبري جـ: ١ص: ٧٨.

(٤) تفسير ابن كثير جـ: ٤ص: ٥٠١ وقال (هو اسناد صحيح).

(٥) تفسير الطبرى جـ: ١ص: ٨٦.

(٦) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص١١٠.

(٧) تفسير الطبرى جـ: ١ص: ٨٦.

ولكنها الرواية عن الله(١).

وقال مسروق «اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله»(٢) وروى عبيد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: «إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»(٢) وقال ابراهيم بن يزيد النخعي «كان اصحابنا يتقون التفسير و يهابونه»(٢).

هذه بعض الأدلة التى استدل بها العلماء رحمهم الله تعالى على تحريم تفسير القرآن بمجرد الرأى قال ابو جعفر الطبري رحمه الله تعالى: «وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذى لا يُدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بنَصْبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القِيْلُ فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه ــ وإن اصاب الحقَّ فيه ــ فمُخطىء فيما كان من فعله بقِيْلِه فيه برأيه»(٣).

وقال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأمَّا مَنْ تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه، ولهذا رُوي عن هؤلاء وغيرهم أقوالاً في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فانه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، ولقوله تعالى: «لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ»(٤) ولما جاء في

(١) المرجع السابق جـ١ ص: ٨٧.
(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص١١٣.
(٣) تفسير الطبرى: جـ ١ص ٧٨ــ٧٩.
(٤) سورة آل عمران : الآية : ١٨٧.

الحديث المروي من طرق «**من سُئِلَ عن علمٍ فكتمه ألجمَ يومَ القيامة بلِجَامٍ من نار**»(١)(٢).

وقال النووي رحمه الله تعالى: «ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه، وأمّا تفسيره للعلماء فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه(٣) وقال: «أما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله(٣).

إذا عُلِمَ هذا فينبغي الحذر كل الحذر من الجرأة على القرآن وتفسيره بمجرد الرأى، وكم يَحِزُّ في النفس حين نرى كثيراً من الناس يتجرأون على تفسير كلام الله ولا يحسبون لذلك حساباً، فلا تتلكأ ألسنتهم، ولا توجف قلوبهم وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علماً، وأصبح من مداركهم.

وكم من رجل منهم فسر آية لو عُرِضَتْ على أبي بكر رضي الله عنه خير هذه الأمة بعد نبيها، وأكثر الناس ملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم وعلماً بالقرآن لو عُرِضتْ عليه لقال «أيُّ أرض تُقلني وأيُّ سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم» وإن أحدهم ليفسر الآية ولو سمعه عمر رضي الله عنه لقرعه بدرته(٤) والله المستعان.

---

(١) رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وقال الألباني إسناده صحيح (مشكاة المصابيح) جـ١ ص: ٧٧.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص: ١١٤ــ١١٥.

(٣) التبيان في آداب حَمَلةِ القرآن: النووي ص١٣٢ــ١٣٣.

(٤) من كتابي (خصائص القرآن الكريم) ص١٥٥ــ١٥٦.

مناهج التفسير

كان الصحابة رضي الله عنهم يفسرون القرآن بالقرآن والسنة، فإن لم يجدوا التفسير فيهما اجتهدوا وهم أهل للاجتهاد والاستنباط.

ولما اتسعت رقعة البلاد الاسلامية أرضاً اتسعت رقعتها أيضا لسانا فدخلت في الإسلام أمم أعجمية شتى بمختلف الألسنة واللهجات ومختلف المذاهب والعقائد، فدخل فيه بعد المشركين الذين يعبدون الأوثان أمم مجوسية، وأمم نصرانية وأهل ملل ونحل أخرى، وكان لهذا أثره.

فتعددت مناهل التفسير ومصادره، وتنوعت طرقه ومناهجه، فجَدَّ فيه مصادر محدثه، وطرق مبتدعة، ومناهج متعددة.

ونشأت عقائد منحرفة كالشيعة، والمعتزلة، والخوارج، والصوفية وغيرهم وصار لكل فرقة مصادرها ومنهجها في التفسير.

وتنوعت مناهج التفسير وأغراض المفسرين، فمنهم من ظلَّ على مصادره الأصلية، ومنهم من غَلَّبَ تحكيم العقل المجرد في تفسيره، ومنهم من اصطبغ تفسيره بالعلم الذى برز فيه، فالنحوي غلب النحو على تفسيره، والفقيه غلب الفقه على تفسيره فتوسع في أصوله وفروعه، والمؤرخ غلب على تفسيره سرد القصص واستيفاؤها، والفيلسوف ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشُبههم والردِّ عليها.

وتناول كثير من الكتاب والمؤلفين هذه المناهج فألَّفوا المؤلفات الكثيرة في عرضها ودراستها ونقدها وسنذكر تعريفا موجزاً لبعض هذه المناهج.

أولاً: منهج التفسير بالمأثور:

نشأته:

قال تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»(١). ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون في تفسير القرآن إلى القرآن نفسه وإلى السنة النبوية، فإن لم يجدوا التفسير فيهما اجتهدوا.

وقد تلقى التابعون رحمهم الله تعالى ما أُثِرَ عن الصحابة رضي الله عنهم في التفسير سواء كان تفسيراً للقرآن بالقرآن أو بالسنة أو باجتهادهم وتناقلوه بينهم، ولذا سمي هذا النوع من التفسير بـ«التفسير بالمأثور» و بـ«التفسير بالمنقول».

واشتهر عدد من الصحابة بالتفسير منهم:

أبو بكر، عمر، عثمان، علي، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عباس، عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو موسى الأشعري، زيد بن ثابت، أبي بن كعب، عائشة، رضي الله عنهم أجمعين.

كما اشتهر عدد من التابعين في التفسير منهم:

مجاهد بن جبر، سعيد بن جبير، قتادة بن دعامة السدوسي، زيد بن أسلم، محمد بن كعب القرظي، أبو العالية الرياحى، عطاء بن أبي رباح، عكرمة مولى ابن عباس، الحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

---

(١) سورة النحل: الآية: ٤٤.

أسباب ضعف الرواية للتفسير بالمأثور:

والتفسير بالمأثور إذا صح سنده لا خلاف في قبوله وتقديمه على غيره، لكن ينبغي أن نتفطن إلى أن التفسير بالمأثور قد دخله ما ليس منه مما يوجب التثبت وأخذ الحيطة والحذر عند تناوله و بيان الصحيح من الدخيل فلا نقبل المروي من التفسير بالمأثور إلا بعد نقد وتمحيص، وترجع أسباب ذلك إلى أمور:

أولها: الوضع:

فقد سرى الوضع في التفسير بالمأثور حين نشأت بعض الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة، فأرادت أن تسند عقيدتها بالنصوص القرآنية، فلَمَّا لم تطاوعهم النصوص على ما دهبوا إليه وضعوا الأحاديث في تفسير هذه الآيات على ما يريدون وذلك كالمعتزلة والرافضة وغلاة الصوفية وغيرهم.

كما كان للإنتماء السياسي في صدر الإسلام أثره في وضع الأحاديث تقربا لبعض السلاطين أو كُرهاً لآخرين.

وكان أيضا لأعداء الإسلام عامة الذين عجزوا عن محاربة الإسلام بالسيف فتظاهروا بالدخول في الإسلام للكيد له ولأهله فوضعوا الأحاديث في التفسير بالمأثور وغيره.

ثانيها: الإسرائيليات:

وذلك أنَّ القرآن تناول كثيراً قصَصَ الأنبياء السابقين والأمم الماضية والحوادث الغابرة، وحين يتناولها القرآن فإنه يبرز منها جانب الموعظة والعبرة ولا يعتنى بتفصيل دقائقها.

وفي النفس الإنسانية مَيْلٌ إلى استيفاء القصة واستكمال الصورة،

فكـان بـعـض المسلمين يسأل من دخل في الاسلام من أهل الكتاب عن تـفـاصـيل قصص القرآن وأخباره مما ورد في التوراة والإنجيل و يطلق على هـذا اللون من الأخبار «الإسرائيليات» وهو اطلاق وإن كان يدل على ما ورد عـن بـنـي إسـرائـيـل وهـم الـيهود، إلا أنَّ المراد به ما ورد عن اليهود والـنـصـارى أيـضا من باب التغليب وإطلاق الجزء على الكل، وإنما غلب الـيـهود لوجود طائفة منهم في المدينة في صدر الاسلام وكان الا تصال بهم أقرب.

ومـعـلـوم أنَّ التحريف والتغيير والتبديل قد أصاب التوراة والإنجيل، ولهذا فإن الاسرائيليات لا تخلو من ثلاث حالات:

١ ــ أن توافق ما جاء في شريعتنا.

٢ ــ أن تخالفـــه.

٣ ــ أن لا توافقه ولا تخالفه.

فـالـنـوع الأول نَـعْلَمُ صِدْقَه تبعا لتصديقنا ما جاء في شريعتنا وحكم هذا النوع القبول.

والـنـوع الـثـانـي نـعـلم كَذِبَه لمخالفته ما صح في شريعتنا وهذا النوع مردود لا تجوز روايته إلا على سبيل التحذير منه ورده.

والـنـوع الـثـالث لا نعلم صدقه ولا كذبه، فلا نصدقه ولا نكذبه، بل نتوقف فيه، وغالب هذا النوع مما لا فائدة في معرفته.

ولهـذا يـنـبـغي الـتـثـبت فيما روي من التفسير بالمأثور لئلا يكون من الإسرائيليات.

ثالثها: حـذف الإسنـاد:

وذلـك أنَّ الـروايـة للتفسير بالمأثور غن الصحابة كانت بالإسناد، فلَمَّا وقـعـت الـفـتـن وكـثـر الدس صار بعضهم يحذف الإسناد حتى لا تعرف درجته فالتبس الصحيح بالضعيف.

فـوجـب ــ حينئذ ــ التثبت في الرواية ومعرفة السند في التفسير حتى لا يُقْبَلَ الدخيلُ او يُرَدَّ الأصيلُ.

تـدوين التفسـير بالمأثور:

لـم يـعـرف عـنـد الـصحابة رضي الله عنهم تدوين للتفسير وإنما كان التفسير عندهم بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين.

أمَّا في عهد التابعين فقد انتشر التعليم وكثر الكُتَّابُ فاتجهت طوائف منهم إلى تدوين العلوم ومنها التفسير.

وقد نصَّ ابنُ تيمية(١) وابنُ خِلِّكَان(٢) رحمهما الله تعالى على أنَّ أوَّلَ من صنف في التفسير عبد الملك بن جريج (٨٠هـ ــ ١٥٠هـ).

ولا نـسـتـطيع الجزم بما ذهبا إليه فقد سبق ابنَ جريج عددٌ كبير، فقد أملى ابن عباس رضي الله عنهما (ت٦٨هـ) التفسير على مجاهد بن جبر(٣) رحمه الله تـعـالى وجمع سعيد بن جبير رحمه الله تعالى لعبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ) صحيفة في التفسير(٤)، وجمع أبو العاليه الرياحي (ت٩٠هـ)

(١) مجموع الفتاوي: ابن تيمية جـ: ٢٠ص: ٣٢٢.

(٢) وفيات الاعيان: ابن خلكان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد جـ٢ص ٣٣٨.

(٣) انظر مجموع الفتاوى: ابن تيمية جـ: ١٣ ص ٣٦٩، وتفسير الطبري جـ:١ ص٩٠ وتفسير ابن كثير جـ: ١ص٣.

(٤) تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني جـ: ٧ص ١٩٨ــ١٩٩.

نسخة في التفسير عن أبيّ ابن كعب[1] وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري[2] رحمه الله تعالى (ت١١٦هـ) وكان عند زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ) كتابٌ في التفسير[3] وألّف اسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي (ت١٢٧هـ) تفسيرا للقرآن[4] وغير ذلك.

و بهذا لا نستطيع الجزم بأنَّ ابن جُرَيْج أوَّلُ من صنف في التفسير إلا أن يكون تصنيف من ذكرنا غير شامل لآيات القرآن، وتأليفه شامل للقرآن كُلِّه.

إلا أنّا نجزم بأن أقدم تفسير شامل للقرآن وَصَلَ إلينا هو تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى (ت٣١٠هـ).

ومن المؤلفات في التفسير بالمأثور:

١ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

٢ ــ تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ).

٣ ــ بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي (ت٣٧٥هـ).

٤ ــ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأبي اسحاق الثعلبي (ت٤٢٧هـ).

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي جـ: ١ص: ١١٥.

(٢) وفيات الاعيان: ابن خلكان جـ: ٣ص: ١٣٢. وتاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان جـ: ١ص: ٢٥٧ ترجمة عبد الحليم النجار.

(٣) تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي جـ: ١ص: ١٣٣.

(٤) انظر الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي جـ: ٢ص: ١٨٨، وتفسير الطبري جـ: ١ص: ١٥٦ــ١٦٠ وتهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني جـ: ١ص: ٣١٥.

٥ ــ معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ).

٦ ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الاندلسي (ت٥٤٦هـ).

٧ ــ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

٨ ــ الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن الثعالبي (ت٨٧٦هـ).

٩ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

١٠ــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد ابن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ).

١١ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

ثانيا: منهج التفسير الفقهي:

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن العظيم لحكم عظيمة غايتها ونهايتها:

١ ــ تصحيح العقيدة.

٢ ــ تقويم السلوك(١).

أمَّا أولها فقامت به آيات العقائد، و بنته على قواعد سليمة قوامها أركان الايمان.

أمَّا الثاني فتكفلت به آيات الاحكام على وجه اختاره الله لعباده ضَلُّوا إنْ عملوا بسواه، وكفروا إنْ حكموا بغيره.

---

(١) انظر مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم ص: ١٣٧.

وقد استحوذ هذان الركنان على جُلّ او ان شئت فقل كل آيات القرآن الكريم، وما عداهما من آيات القصص والأمثال والوعد والوعيد لا يخرج كله عن تقرير عقيدة أو تقويم سلوك، فهو داخل في دائرة هذين الركنين لا يخرج عنهما بحال من الأحوال(١).

ولا شك أنَّ دلالة النصوص القرآنية لا تظهر بصورة شاملة للحُكمِ في كثير من الأحوال، كما أنَّها لا تدل بصورة قطعية على الأحكام في بعض الاحوال.

كما أنَّ السنة النبوية ليست على درجة واحدة في الثبوت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هي تتفاوت بين الصحة والضعف.

ولهذه الاختلافات في دلالة النصوص القرآنية، وتفاوت ثبوت بعض الاحاديث وللعلاقة الثابتة بين الكتاب والسنة لهذا كله أصبح المجال في غالبه مجال اجتهاد، وإعمال ذهن، واستنباط، بل سَمّه فِقْهاً، و بهذا تكون نشأة علم الفقه مبكرة في صدر الإسلام(٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتدبرون القرآن و يستنبطون أحكامه فيتفقون أحيانا ويختلفون حينا، فقد وقع الاختلاف ـ مثلاً ـ في عدَّة المرأة الحامل المُتَوَفَّى عنها زوجها وذلك في قوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»(٣).

وقوله سبحانه «وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»(٤)

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: للمؤلف جـ: ٢ص: ٤١٥.
(٢) المرجع السابق، جـ: ٢ص: ٤١٦.
(٣) سورة البقرة: من الآية: ٢٣٤.
(٤) سورة الطلاق: من الآية: ٤.

فقد استند علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم إلى هاتين الآيتين في أنَّها تعتد بأبعد الأجلين (الوضع) أو (الأربعة أشهر وعشرا).

أما ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سلمة فإنَّهم يرون أنَّ عدتها الوضعُ لأنَّ آية الطلاق نزلت بعد آية البقرة(١)، فهي مخصصة لها. واستدلوا أيضا بحديث سُبَيعة الأسلمية وقد سبق تفصيل هذا الخلاف(٢).

ووقع الاختلافُ بين الصحابة رضي الله عنهم في الثلث المذكور في قوله تعالى «فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ»(٣)، فقد رأى عمر وعثمان وابن مسعود وزيد بن ثابت وأصَحُّ الروايتين عن علي رضي الله عنهم أجمعين، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الاربعة وجمهور العلماء(٤):-

أنَّ المراد ثلث الباقي إن كان معهما زوج أو زوجة، لأن الأم والأب ذكر وأنثى ورثا بجهة واحدة فللذكر مثل حظ الانثيين وصورة المسألة هكذا:

إذا كان المُتَوَفَّى الزوج: ١٢

زوجة	١/٤	٣
أم	١/٣ الباقي	٣
أب	الباقي	٦

إذا كان المُتَوَفَّى الزوجة: ٦

زوج	١/٢	٣
أم	١/٣ الباقي	١
أب	الباقي	٢

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ: ١ص: ٢٩٥ـ٢٩٦ وجـ٤ص: ٤٠٥ـ٤٠٦.
(٢) انظر ص: ٥٣ـ٥٤
(٣) سورة النساء: من الآية: ١١.
(٤) تفسير ابن كثير جـ: ١ص: ٤٨٤.

وذهب ابن عباس وروي عن علي ومعاذ بن جبل إلى أنَّ المراد ثلث المال كله لعموم الآية(١).

وصورة المسألة هكذا:

إذا كان المُتَوَفَّى الزوج: ١٢

زوجة	١/٤	٣
أم	١/٣	٤
أب	الباقي	٥

إذا كان المُتَوَفَّى الزوجة: ٦

زوج	١/٢	٣
أم	١/٣	٢
أب	الباقي	١

و يعتبر هذا الاختلاف الفقهي نواة لاختلاف الفقهاء بعد ذلك.

ثم سعى أتباع كل مذهب فقهي إلى آيات الأحكام في القرآن الكريم يُفردونها بالتأليف و يُفسرونها حسب قواعد في استنباط الأحكام فخرجت تفاسير لآيات الأحكام لا تكاد تجد بينها و بين كتب الفقه كبير فارق.

فتنوعت تفاسير آيات الاحكام حسب تنوع المذاهب الفقهية.

فمن المؤلفات في ذلك:

من المذهب الحنفي:

١ ــ تفسير أحكام القرآن: لأبي بكر الرازي المعروف بالجصاص. في ثلاثة مجلدات.

٢ ــ التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية: مُلاَّجيون. في مجلد

ومن المذهب المالكي:

١ ــ تفسير أحكام القرآن: لأبي بكر بن العربي. في أربعة مجلدات.

٢ ــ الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله القرطبي. في عشرة مجلدات كبار.

ومن المذهب الشافعي:

١ ــ أحكام القرآن: جَمَعَه أبو بكر البيهقي من نصوص الإمام الشافعي. في مجلد.

٢ ــ أحكام القرآن: إلكِيا الهراسي. في مجلدين.

٣ ــ الإكليل في استنباط التنزيل: السيوطي. في مجلد واحد.

٤ ــ القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز: أحمد بن يوسف الحلبي (السمين).

ومن المذهب الحنبلي:

١ ــ زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي في تسعة مجلدات وهو وإن لم يكن من التفاسير المقتصرة على التفسير الفقهي إلا انه يُعدّ وَفْقَ المذهب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام.

وفي العصور الحديثة أَلَّفَ عددُ من العلماء كُتبا في تفسير آيات الأحكام منها:

١ ــ نيل المرام في تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن. في مجلد.

٢ ــ روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني. في مجلدين.

٣ ــ تفسير آيات الأحكام: أشرف على طبعه وتنقيحه محمد علي السايس.

٤ ــ تفسير آيات الأحكام: مناع القطان.

ثالثا: منهج التفسير العلمي:

حين ضَلَّت البشرية وتاهت في عالم التيه والضلال أرسل الله إليهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليهم كتابه القرآن «هُدَى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ»(١). فأخرجهم به من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى.

(١) سورة البقرة: من الآية: ١٨٥.

وسلك القرآن مسلك الإقناع بالحجة والبرهان فساق الأدلَّة، وأمَرَ بالنظر وحث على التفكر والتدبر، ودعا إلى التأمل، وعرض لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية كخلق السموات والأرض، وخلق الإنس والجن والملائكة، وسَوْقِ السحاب، وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس والقمر، ونحدث عن الكواكب والنجوم والشهب، والصعود في السماء، وعن خَلْقِ الإنسان وأطوار الجنين، وعن النبات، والبحار، والجبال، وما تحت الثرى، وعَرَضَ لمعارف شَتَّى، وعلوم متعددة.

ومع تطور العلوم والتقدم العلمي، والاكتشافات العلمية الحديثة، فلم ينقض العِلْمُ شيئا مما جاء في القرآن، ولم يُصادم جُزئية من جزئياته مِمَّا بَوَّأ القرآن الكريم مكانة لم يشاركه فيها كتاب من قبله ولا من بعده فمَا مِنْ كتاب عَرَضَ لمِثْلِ ما عَرَضَ له القرآن الكريم إلا وكشف الزمنُ زيفه، وأبطلت الحقائق العلمية الثابتة نظرياته، حاشا القرآن الكريم، وهذا هو ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وقد توسع بعضُ المفسرين في هذا النوع من الآيات وأَوْلَوْهَا عنايتهم واهتمامهم، فأبرزوا في تفاسيرهم الحديث عن الفلك ونظامه والكواكب والنجوم وسيرها، وعن أسرار خلق الإنسان وأطواره، وعن المياه والبحار والأنهار والسحب والأمطار، وعن النبات وسائر الأشجار، وعن الحيوانات والأنعام و ينطلقون في هذا كله من الآيات القرآنية واستنباط معانيها ودلالاتها الظاهرة والخفية.

وانقسم العلماء في حكم هذا التفسير إلى مؤيد، ومعارض، وإلى طائفة أخرى معتدلة، ولكل منهم حججه وبراهينه.

استدل المؤيدون للتفسير العلمي للقرآن بأدلة منها:

١ ـ ان الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكَر هذه الأمور في أكثر السور وكررها، وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها(١).

٢ ـ انه تعالى قال «أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ»(٢) فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها، وكيف خلق كل واحد منها(١).

٣ ـ أنَّ في التفسير العلمي إدراكاً لوجوه جديدة للإعجاز في القرآن.

٤ ـ إنه يملأ النفس إيماناً بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خَواصّ الأشياء، ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون(٣) وحينما يرى الحقائق القرآنية ثابتة وصامدة تتكسر تحت أقدامها «النظريات العلمية» وتعانقها بسلام «الحقائق» العلمية.

وقال المعارضون للتفسير العلمي:

١ ـ إنَّ إعجاز القرآن ثابت، وهو غنيٌّ عن أن يُسلك في بيانه هذا المسلك المُتَكلَّف الذي قد يذهب بإعجاز القرآن.

٢ ـ إنَّ الدعوة القرآنية إلى النظر في الكون والعلوم هي دعوة عامة إلى

---

(١) التفسير الكبير: الفخر الرازي جـ: ١٤ ص: ١٢١.

(٢) سورة ق: الآية: ٦.

(٣) مناهل العرفان: الزرقاني جـ: ١ص: ٥٦٨ـ٥٦٩.

موضع العظة والتفكر وليست بدعوة إلى بيان دقائقها وكشف علومها.

٣ ــ إنَّ التفسير العلمي مدعاة للزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه لأن عملية «التوفيق» تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يُتَوَهَّمُ أنهما متعاديان ولا عداء، أو يُظنَّ أنهما متلاقيان ولا لقاء، بمعنى أنه لا يُحالف النجاح كُلَّ عملية من عمليات التوفيق.

٤ ــ إنَّ تناول القرآن بهذا اللون من التفسير يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التى تحتملها ألفاظ النصّ القرآني الكريم، لأنه يَحُسُّ بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة مع أنَّ كثيرا من حقائق العلم مؤقتة ومتغيرة ولا تظهر كُلُّها دفعة واحدة، بل تتكشف يوماً بعد يوم وحينئذ يكون التعجل في تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلا غير مشروع(١).

٥ ــ إنَّ ما يُكتشف من العلوم إنَّما هو نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يُفسر قدراً أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق. ومن ثَمَّ فهي قابلة دائماً للتغيير، والتعديل، والنقص، والاضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة(٢) ومن ثَمَّ فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية على مثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند سقوط تلك النظرية.

والرأى الراجح:

هو أنه لا بأس من إيراد (الحقائق) العلمية الثابتة التى لا تقبل الشك

---

(١) الفكر الديني في مواجهة العصر: عفت الشرقاوي ص: ٤٤٣.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، جـ: ٢ص: ٩٧.

عـنـد تنـاول الـنـصّ القرآني مع إدراك معنى النصّ وفهمه الفهم السليم الخـالي من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والإنحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية وهذا كله مشروط بـ:(١)

١ ــ أنْ لا تطغى تلك المباحث على المقصد الأول من القرآن وهو الهداية.

٢ ــ أنْ تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

٣ ــ أنْ تـذكـر تـلـك الأ بـحـاث على وجه يـدفـع المـسـلمين إلى النهضة و يـلـفـتـهـم إلى جـلال الـقرآن وعظمته، ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذى سخره الله لنا انتفاعاً يُعيد للأمة الإسلامية مجدها(٢).

٤ ــ أنْ لا تُـذْكَرَ هذه الأ بحاث على أنَّها هي التفسير الذى لا يدل النصُّ الـقرآني على سواه، بل تُذْكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يـؤثـر بـطـلانـها فيما بَعْدُ على قداسة النصِّ القرآني، ذلك أنَّ تفسير النص الـقـرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرَدِّ أو البطلان(٣).

أهم المؤلفات في هذا اللون من التفسير:

وهـنـاك مؤلـفـات كـثـيـرة قديماً وحديثاً اشتملت على هذا اللون من التفسير منها:

١ ــ التفسير الكبير: الفخر الرازي.

٢ ــ الجواهر في تفسير القرآن الكريم: طنطاوي جوهري.

---

(١) من كتابي (اتجاهات التفسير) جـ: ٢ص: ٦٠٤.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني جـ: ١ص ٥٦٩ــ٥٧٠.

(٣) مجلة كلية أصول الدين: العدد الثاني ص٥٨ مقال (نظرات في مدرسة التفسير الحديثة) د. مصطفى مسلم.

٣ ـ كشف الأسرار النورانية القرآنية: محمد بن أحمد الاسكندراني.

٤ ـ القرآن ينبوع العلوم والعرفان: علي فكري.

٥ ـ التفسير العلمي للآيات الكونية: حنفي أحمد.

رابعاً: منهج التفسير العقلي:

و يسمى هذا اللون من التفسير (التفسير بالإجتهاد) و(التفسير بالرأى) و(التفسير بالدِّراية) و(التفسير بالعقل).

نشـأته:

نـشـأ هذا التفسير في عصر مبكر في الإسلام، فقد كان الصحابة رضي الله عـنـهـم يُـفـسـرون مـا لَـمْ يَرِدْ تفسيره بالقرآن ولا في السنة باجتهادهم وكـذلـك فـعـل بـعـض الـتابعين رحمهم الله تعالى وكان المفسرون على هذا النحو من الصحابة والتابعين يستندون في تفسيرهم إلى المُقتَضَى من معنى الكلام والمُقْتَضَب من قوة الشرع.

واسـتـمـر الأمر على هذا النحو إلى أن نشأت الفرق والمذاهب المنحرفة الـتـي فـسـرت آيـات الـقـرآن وفـق مذاهبهم الفاسدة وآرائهم الباطلة غير مستندين إلى شرع ولا إلى لغة صحيحة وإنَّما بمجرد الرأي والهوى.

فوقع ـ لهذا ـ الإختلاف في التفسير بالرأي. فمنهم من أجاز التفسير بالرأى ومنهم من منعه.

ادلة المانعين من التفسير بالرأي:

وللمانعين من التفسير بالرأي أدلة عديدة منها:

١ ـ الـنـصوص القرآنية التي تنهى عن القول في القرآن بغير علم مثل قوله

تعالى «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ »(١).

وقوله سبحانه «وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »(٢).

٢ ـ الأحاديث التي تُحرِمُّ القول في القرآن بغير علم كقوله صلى الله عليه وسلم «**مَنْ قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»(٣) وما رواه جُنْدُب «**من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ**»(٤).

٣ ـ أنَّ قوله تعالى «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »(٥). قد أضاف البيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فدل هذا على أنَّ غيره لا يجوز له بيان القرآن.

واستدل المجيزون للتفسير بالرأي بأدلة منها:

١ ـ النصوص القرآنية الكثيرة التى تدعو إلى التدبر في آيات القرآن واستنباط معانيه كقوله تعالى « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ »(٦) وقوله سبحانه «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ»(٧). وقوله عز شأنه «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ »(٨) وأمره بالتفكر بعد أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يُبيِّن

---

(١) سورة الاسراء: من الآية: ٣٦.

(٢) سورة الاعراف: من الآية: ٣٣.

(٣) رواه الإمام أحمد جـ: ١ص: ٢٣٣ والترمذي جـ: ٥ص: ١٩٩ وقال (حديث حسن صحيح).

(٤) رواه أبو داود في سننه جـ: ٣ص: ٣٢٠.

(٥) سورة النحل: الآية: ٤٤.

(٦) سورة النساء: الآية: ٨٢.

(٧) سورة ص: الآية: ٢٩.

(٨) سورة النساء: الآية: ٨٣.

القرآن للناس في قوله سبحانه «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»(١). وغير ذلك من الآيات.

٢ ــ دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس **«اللهم فَقِّهه في الدين وعَلِّمه التأويل»**(٢). يدل على جواز التفسير بالرأي إذ لو كان التفسير مقصوراً على النقل لَمَا كان لتخصيص ابن عباس رضي الله عنهما بهذا الدعاء فائدة لاستوائه مع غيره فيه، ولكان دعاؤه لابن عباس رضي الله عنهما بحفظه لا بفقهه وعِلْمِ تأويله، فدَلَّ على أنَّ المراد بالدعاء أمرٌ آخر غير النقل هو التفسير بالرأي والاجتهاد.

٣ ــ أنَّ الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في تفسير بعض الآيات على وجوه ولو كان التفسير عن طريق النقل وحده لَمَا وقع الاختلاف بينهم، فَدَلَّ على أنَّ تفسيرهم لها كان بالرأي.

الرأى الراجح:

أنَّ التفسير بالرأي منه ما هو جائز ومنه ما هو ممنوع.

فالتفسير الجائزُ هو التفسيرُ بالرأي المحمود وعليه تُحمَل أدلة المجيزين للتفسير بالرأي.

والتفسير المُحرَّمُ هو التفسيرُ بالرأي المذموم وعليه تُحْمَل أدلة المانعين من التفسير بالرأي.

ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أقوال الأئمة في

---

(١) سورة النحل : الآية: ٤٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ: ١ص: ٧٦٦ وصححه الألباني في شرح الطحاوية ص٢٣٤.

التحرج من التفسير بالرأي: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأمَّا من تكلم بما يُعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه»(١).

اهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المحمود:(٢)

والكتب المؤلفة في هذا اللون من التفسير كثيرة جدا قديماً وحديثاًومنها:

١ ـ مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي.

٢ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي.

٣ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات النسفي.

٤ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين الخازن.

٥ ـ البحر المحيط: لأبي حيان.

٦ ـ تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي.

٧ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي.

٨ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي.

٩ ـ تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي.

١٠ـ محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي.

ومن الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المذموم:(٣)

١ ـ تنزيه القرآن عن المطاعن: عبد الجبار الهمداني المعتزلي.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص١١٤.

(٢) لا يعنى هذا سلامتها من الخطأ وإنما المراد سلامة طريقتها في التفسير إجمالا وإلا ففي بعضها أخطاء كثيرة وعلى تفاوت بينها.

(٣) وهذه المؤلفات لبعض اصحاب المذاهب الذين اعتقدوا رأياً ثم حَمَلوا ألفاظ القرآن عليه والله اعلم.

٢ ــ الكشاف : محمود الزمخشري المعتزلي.
٣ ــ مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي.
٤ ــ تفسير كتاب الله العزيز: هود بن مُحَكَّم الهُوَّاري.
٥ ــ تفسير القرآن العظيم: أبو محمد سهل التستري.
٦ ــ حقائق التفسير: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمي.
٧ ــ الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطَبَاطبائي.
٨ ــ التفسير الكاشف: محمد جواد مَغْنِيَّة.
٩ ــ هميان الزاد إلى دار المعاد: محمد بن يوسف إطْفَيِّش.
١٠ــ البيان في تفسير القرآن: ابو القاسم الموسوي الخَوئي.

خامسا: منهج التفسير الإجتماعي:

حين نزل القرآن الكريم كان الناس في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، تعددت صور الجاهلية في مجتمعهم وتَنَوَّعت، الشريعة شريعة الغاب، دأبهم السلب والنهب، ومعبودهم الأصنام والأوثان، يئد الرجل منهم ابنته لا لشيء إلاَّ خشية العار، و يئدُ ابنه لا لشيء إلاَّ خشية الجوع، تشتعل الحروب بينهم السنوات الطوال لأتفه الأسباب واسألوا داحس والغبراء، لا صلة دينية توحد صفوفهم ولا رابطة سياسية تُقَوّي شوكتهم، ولا مصلحة اقتصادية تربط بينهم.

نزل القرآن وهم على هذه الحال، بل أشد، فهذب أخلاقهم، وصَحَّح عقيدتهم وشَدَّ أزرهم، وجَدَّد عزمهم، وَوَحَّد صفهم، ونشر الفضيلة بينهم، وتتبع عاداتهم وتقاليدهم الإجتماعية، فأقرَّ الصحيح، وحَذَّرَ من السيءِ فإذا بهذه الأمة في سنوات معدودة تنقلب من أمة مستضعفة لا يُؤبه

بـهـا، ولا عـبـرة ولا مـكـانـة ولا هـيـبـة لها بين الدول، إلى أعظم الأمم، وصاحبة السيف والقلم.

فـانـتـشرت الفضيلة، وساد الدين، وقو يت شوكة المسلمين، واتسعت دولـتـهـم. فـفـي القرآن علاج للأمراض الإجتماعية، وحلول للمشكلات السياسية، والقضايا الأسرية.

ولهـذا اتجـهـت طائفة من المفسرين يعتنون بهذه الآيات و يتوسعون في تـفـسيرها طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم فينظر المفسر إلى مجتمعه نظرة الـطـبـيب الفاحص يلتمس داءه، و يتعرَّف على علَّته، حتى إذا عرفه نظر في الـقرآن يطلب الدواء والعلاج فإذا وجده تَوَسَّع في شرحه،و بيانه، وحث قـومـه على الـتـزامـه فـنـشـأ بـهـذا لـون مـن ألـوان الـتـفـسير وهو الإصلاح الإجتماعي.

والمفسرون كلهم يتناولون هذه الآيات و يفسرونها إلا أنَّ طائفة منهم تـقـف عـندها فتُطيل الوقوف، وتر بط بينها و بين ما هو سائد في مجتمعهم مما هو مخالف لها. فتَميَّز تفسيرها بهذه الميزة، واصطبغ بهذه الصبغة.

والمؤلفات التي سلكت هذا المسلك كثيرة منها:

١ ــ تفسير المنار: محمد رشيد رضا.

٢ ــ تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي.

٣ ــ تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت.

٤ ــ صفوة الآثار والمفاهيم: عبد الرحمن بن محمد الدوسري.

٥ ــ في ظلال القرآن: سيد قطب.

سادسا: منهج التفسير البياني:

نـزل الـقـرآن الـكـريـم بلسان عربيٍّ مبين على أمة كانت تُقيم للشِّعْر أسواقا وللخطابة ندوات، وتَعُدّ الشِّعر ديواناً وسجلاً للمفاخر(١).

نـزل الـقرآن الكريم على أمة تمسك بزمام البلاغة والفصاحة، وعُرِفَت بحسن الأداء، وجمال المنطق، وسلامة التعبير، وما يزال الناس بعد أربعة عشر قـرنا يُردِّدون قصائدهم ويحفظون خطبهم، وهم يعدونها مثالاً للبلاغة والفصاحة، وحين نزل القرآن مَلَكَ ألبَابَهم وأسَرَ عقولهم وأخذَ منهم كلَّ مأخذ.

ذلـك «أنـه في كـل شـأن يـتـنـاوله يختار له أشرف المواد وأمسَّها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للإمتزاج، و يضع كلَّ مثقال ذرَّة في موضـعـهـا الـذى هو أحقّ بها، وهي أحقّ به، بحيث لا يَجِدُ المعنى في لفظه إلا مرآتـه الـناصعة، وصورته الكاملة، ولا يَجِدُ اللفظ في معناه إلا وطنـه الأمين وقـراره المكين، لا يـوماً أو بـعـض يـوم، بل على أن تذهب العصور، وتجيء العصور فلا المكان يُريد بساكنه بدلاً، ولا الساكن يبغي عن منزله حِولاً.. وعل الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان»(٢).

وخـلاصة الأمر أن هذا البيان القرآني يجمع أموراً جملتها النظم الفريد العجيب، الحسن، المخالف لأساليب العرب، والصور البيانيه التى تؤلف أبدع تأليف بين افصح الألفاظ الجَزِلة وأصحّ المعاني الحسنة»(٣).

---

(١) انظر المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم: د. كامل سعفان ص٥.

(٢) النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز ص: ٩٢.

(٣) بيان إعجاز القرآن: لأ بي سليمان الخطَّابي ص: ٦٥.

فـاتجـهـت هِـمَّـة طـائـفة من المفسرين إلى هذه الوجوه البيانية وأولَوها عنايتهم واتسعت الدراسات حولها.

وظـهـر هذا اللون من التفسير في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تـفسير الصحابة رضي الله عنهم، وأشهر من عُرِفَ عنه ذلك هو ابن عباس رضي الله عـنـهـمـا حـيـث كـان يُكثر من التفسير اللغوي، و يرجع فيه إلى أشـعـار الـعـرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتركيب(١) وسار على نهجه تلاميذه كمجاهد وغيره.

ثـم ظـهـرت المؤلـفـات الـعديدة في عصر التدو ين مثل (مجاز القرآن) لأ بـي عـبـيـدة مَـعْـمَـر بن المُثنى وكتاب (معاني القرآن) للفرّاء وكتاب (نظم القرآن) للجاحظ.

وتتابعت المؤلفات فظهرت كتب عديدة تناولت إعجاز القرآن الكريم مـن هذا الجانب، وكتب تناولت التفسير كلّه وأوْلَت البيان عناية كتفسير (الـكـشاف) للزمخشري، واعتنت كتبٌ بالمناسبات وهي من أوجُه البيان كـكـتـاب الـبـقـاعـي (نـظـم الدّرر في تناسب الآيات والسور)، وكتاب الـسيوطي (تناسق الدّرر في تناسب السور)، ومن هذا اللون تفسير الألوسي (روح المعاني).

ولـكـن هـذه المؤلفات لم تؤصِّل هذا المنهج البياني وتُحدِّد معالمه وإنما تناول كل منها جانباً أو جوانب معدودة.

ولـكـنَّ أهـل اللـغـة والـبلاغة في العصر الحديث أطالوا النظر والتفكر ووضعوا معالم لهذا المنهج في التفسير ونستطيع أن نُجمل **خطوات المنهج**

(١) خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: د. محمد رجب البيومي ص: ١٢.

البياني في التفسير فيما يلي:

أولاً: أنْ يجمع المفسرُ الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض و يتدبرها جميعا و يُفسِّرها كذلك.

ثانيا: أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها.

ثالثا: أن يدرس دراسة خاصة ما حول النَّصِّ كتاريخه وأسباب نزوله وجمعه وكتابته وقراءته ونحو ذلك من علوم القرآن.

رابعا: ثم يُقدِّم دراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص، البيئة المادية في الأرض والسماء والجبال والسهول والأودية، والبيئة المعنوية في تاريخ هذه الأمَّة ونُظُمِها وأعْرَافِها وعاداتها وتقاليدها.

خامسا: دراسة النَّصِّ القرآني في مفرادته وذلك بدراسة:

أ ــ استعمالات هذه المفردة لغوياً.

ب ــ دراسة استعمالاتها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ومدلولها في كل موضع.

سادسا: دراسة النَّصِّ القرآني في معانيه المركبة، وذلك بطريق العلوم الأدبية من نحوٍ و بلاغة.

من نَحْوٍ.. على أنَّه أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده.

ومن بلاغةٍ.. على أنَّها هي النظرة الأدبية الفنية التى تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني، مع التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة كلٍّ منها، ولمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته.

تلكم هي أبرز الخطوات التي رسمها الأستاذ أمين الخولي للتفسير البياني(١).

إلا ان هذه الخطوات ظلت مجرد نظرية ولم تخرج بعدُ دراسة تطبيقية كاملة لهذا المنهج، وكلّ ما صدر من مؤلفات حتى لأمين الخولي نفسه، إنما هي محاولات جُزئية بعيدة عن الهدف واعترف هو نفسه بقصوره وعدم قدرته على ذلك قائلا «وأولى لنا أن نؤثر هذه الحقيقة على أنْ نكذب على أنفُسِنَا وعلى الأجيال فنزعم الكفاية الكاملة، والقدرة الموفورة، ولئن لم يكن لنا من الكمال إلا الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التَزَيّد الزائف»(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ من **المؤلفات القليلة في هذا المنهج:**

١ ــ من هدي القرآن: القادة والرسل.

٢ ــ من هدي القرآن .. في رمضان.

٣ ــ من هدي القرآن .. في أموالهم.

٤ ــ من هدي القرآن .. السلام والإسلام.

٥ ــ من هدي القرآن .. القَسَمُ القرآني.

٦ ــ من هدي القرآن .. القرآن والحياة.

٧ ــ من هدي القرآن .. الطغيان في العلم والمال والحكم.

٨ ــ من هدي القرآن .. الجندية والسِّلم.

٩ ــ من هدي القرآن .. حكومة القرآن.

١٠ــ من هدي القرآن .. الفن والبيان في القرآن.

---

(١) من كتاب (التفسير معالم حياته، منهجه اليوم) للأستاذ أمين الخولي من ص٣٥ــ٤٤.

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: ص: ٤٦ــ٤٧.

١١ــ من هدي القرآن .. شخصية محمد.
١٢ــ من هدي القرآن .. الحكم بما أنزل الله.

وكل هذه دراسات للأستاذ أمين الخولي.

١٣ــ التفسير البياني للقرآن الكريم.
١٤ــ مقال في الإنسان (دراسة قرآنية).
١٥ــ الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية).
١٦ــ القرآن وقضايا الانسان.

وكلها مؤلفات للدكتورة عائشة عبد الرحمن.

وهذه المؤلفات وغيرها كما قلت ليست إلا تطبيقاً جُزئياً لهذا المنهج ولازال هذا المنهج بعيداً عن التطبيق الكامل.

سابعا: منهج التذوق الأدبي:

التذوق للقرآن الكريم حركة نفسية، وانطباع ذاتي، لا يملك الإنسان له ردأ، ولا يستطيع له منعا، بل لابد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى.

ونقصد بهذا معنى دقيقاً يشعرُ به كُلُ من يواجه النصوص القرآنية ابتداء و ينسكب في حِسِّه بمُجَرَّد الاستماع لهذا القرآن، وقد يستطيع ان يَصِفَ هذه القِيَم الشعورية بكلمات، وقد لا يستطيع، و يرجع هذا إلى الصلة بين القِيَم الشعورية والقِيَم التعبيرية، فقد تحتاج الانسان مشاعر لا يجد في الكلمات كلّها ما يستطيع التعبير بها عنها، ولذلك حين استمع نفرٌ من الجن إلى القرآن لم يجدوا من الكلمات في وصف ما شعروا به إلا أنَّه عجبا.

وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يُبينُ هذا المعنى فيقول:

«إنَّ في هذا القرآن سراً خاصَّاً يشعر به كلُّ من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أنَّ هنالك شيئا ما وراء المعاني التي يُدركها العقل من التعبير، وأنَّ هنالك عنصرا ما ينسكب في الحسِّ بمُجرد الاستماع لهذا القرآن»(١).

ولذلك فإنَّ من المشاعر التى تنسكب في حِسِّ مُستمع القرآن ما لا يُستطاع التعبيرُ عنه بالكلمات، وهذا سيد قطب ــ وحسبك به ــ يعترف باستحالة ذلك فيقول:

«إنَّ إيقاع هذا القرآن المباشر في حِسِّي محال أن أتَرجِمه في ألفاظي وتعبيراتي، ومن ثَمَّ أحِسُّ دائماً بالفجوة الهائلة بين ما أستشعره منه وما أترجمه للناس في هذه الظلال»(٢).

وليس من السهل أنْ نُكَبِّلَ المُفَسِّرَ وقد انسكبت في داخله هذه المشاعر وهذه الأحاسيس فنمنعه من التعبير عنها بما يراه من الكلمات ما دام لَمْ يَخرُجْ عن معاني النصوص ودلالا تها، ومادام لم يشطح في ألفاظه.

ونستطيع أنْ نقول بعد هذا أنَّ التذوق الأدبيَّ للقرآن الكريم يقوم على الموازنة بين (الذات) و(الموضوع).

فللذّات حقها في جانب الاستغراق في النصِّ والشعور به، بحيث لا

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، جـ٦ ص: ٣٣٩٩.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، جـ٤ ص: ٢٠٣٨.

يَصِلُ إلى الاستغراق الصوفيِّ التَامِّ الذي يطغى على النصّ و ينْبُذُ المعاني الظاهرة.

وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي، وحدوده الشرعية، والتنبيه الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم، والتزام أبعاد معانيه ومدلولا ته بحيث لا يتجاوزها فيشطح.

إنَّ الموازنة بين الذات والموضوع هي التى تستقر بصاحبها في ميدان التذوق الأدبي، و بقدر التوازن يكون الإستقرار والثبات والسلامة.

فإنْ طغت الذات على الموضوع خرج عن نطاقه إلى نطاق التفسير الصوفي الذي يعتمد على الأوهام أكثر مما يعتمد على الحقائق.. وجَنَحَ بصاحبه إلى الخيال الجارف الذي لا يعتمد على قواعد ثابتة ولا أصول راسخة، بل يموج و يضطرب كما تضطرب الريشة في الهواء، ومن هنا نفذ الباطنيون إلى الإلحاد في تفسير القرآن الكريم حيث لا ارتباط بالنص ولا بمدلوله، بل إنسلاخ منه.. وإنسلاخ من الدين.

وإنْ طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التذوق الأدبي إلى نطاق التفسير العلمي البحت وضاقت جوانب جذبات النفس، وارتباطها بالنص وأصبح المفسرُ والنصُّ كتلتين منفصلتين لا تمازج بينهما، ولا تجاذب وحينئذ يكاد المفسر أن يكون مجرد آله لا تفاعل بينها و بين معمولها(١).

---

(١) انظر كتابي (إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) جـ٣ ص٩٨٣ـــ٩٨٤.

وقد وفق الله الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى فألَّف تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم على هذا الوجه من التفسير هو الذي شَقَّ طريقه، وهو الذي وضع معالمه، وهو الذي قام به فلم يكد يُعرف إلاّ به، ولم يكد يسلكه أحد من بعده.

إعــراب القــرآن الكريــم

تعريفــه:

الإعـراب لـغـة: الإبانة يقال أعرب الكلام: بَيَّنه. وعَرَّبَ منطقه: أي هَـذَّبَـه مـن اللحـن، والإعراب الذي هو النحو: إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب(١).

واصـطـلاحـاً: اخـتلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً وتقديراً(٢) ولا يـعـرف الإعـراب في اللغـات الـعـصـريـة إلا في الـعـر بـيـة والحبشية والألمانية(٣).

أمـا اعـراب الـقرآن الكريم: فهو ضبط كلماته، والبعد عن اللحن في نطقها حتى يظهر معناها الصحيح.

أهميـة هـذا العلـم:

تـظـهـر مـكـانـة هـذا العلم لكون الإعراب يبين المعنى، ويميز المعاني، و يـوقـف على أغراض المتكلمين، ولا يمكن أن يفهم النص القرآني الفهم الصحيح ما لم ينطق بكلماته النطق الصحيح، والإعراب هو سبيل النطق الصحيح بالكلمات القرآنية.

و يـروى أنـه قـدم اعـرابـي في خـلافـة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فـقـال: من يقرؤني شيئا مما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجـل سـورة بـراءة فـقـال: إن الله بـريء من المشركين ورسوله بالجر فقال

---

(١) لسان العرب: مادة (عرب) جـ١ ص٥٨٩.

(٢) معجم القواعد العربية: عبد الغني الدقر ص٦٦.

(٣) المعجم الأدبي: جبور عبد النور ص٢٧.

الأعرابي أو قد برىء الله من رسوله؟ إن يكن الله برىء من رسوله فأنا ابرأ منه فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابي فدعاه فأخبره الأعرابي بالقصة فقال عمر رضي الله عنه: ليس هكذا ياأعرابي. فقال: كيف هي ياأمير المؤمنين؟ فقال: «أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ» (١). فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منهم. فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يُقرىء القرآن إلا عالم باللغة» (٢).

وقال يحى بن عتيق قلت للحسن: ياأبا سعيد. «الرجلُ يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، و يقيم بها قراءته؟ قال: حسن ياابن أخي فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها» (٣).

نشأته وتطوره:

لما اتسعت الفتوحات الإسلامية اختلط العرب بالأمم الأعجمية، ودخل كثير من هذه الأمم في الإسلام وكان بين العرب والعجم اختلاط واشتراك فظهرت عوامل الفساد في لسان بعض العرب وسُمِعَ اللحن في التخاطب.

و يعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هَبَّ على صوته أولو الغيرة على العربية والإسلام(٤).

فقد دعا زياد بن سمية ــ وكان والياً على البصرة ــ أبا الأسود

---

(١) سورة التوبة: الآية: ٣

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: الأنباري ص١٩ــ٢٠.

(٣) الإتقان: السيوطي جـ١ ص١٧٩.

(٤) من تاريخ النحو: سعيد الأفغاني ص٨.

الدؤلي وقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء (يعني العجم) قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئا يصلح به الناس و يعرب به كتاب الله. فأبى ابو الأسود. حتى سمع قارئاً يقرأ إن الله برىء من المشركين ورسوله بالكسر فقال: عَزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله، ورجع من فوره إلى زياد فقال: قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن ابدأ بإعراب القرآن فابعث إلى ثلاثين رجلاً فاحضرهم زياد فاختار منهم رجلاً من عبد القيس فقال له ابو الأسود: خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتى فانقط نقطه واحدة فوق الحرف، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف(١). فنشأ بذلك علم إعراب القرآن، ومنه نشأ علم النحو وإنما أنشىء هذا العلم للمحافظة على القرآن الكريم من أن يقع اللحن في كلماته، ثم اتسعت رقعته فألف المؤلفون ودرسه الدارسون.

ما يجب على المعرب معرفته:

ويجب على من اراد خوض عباب هذا العلم أمور عدة أهمها(٢):

الأول: وهو أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد إعرابه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب فإنه فرع المعنى ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، ويختلف الأعراب باختلاف التفسير.

---

(١) الفرست: ابن النديم ص٦٠ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء: ابن الأنباري ص٢٠.

(٢) نقلاً عن البرهان: للزركشي جـ١ ص٣٠١ وما بعدها والإتقان: السيوطي جـ١ ص١٧٩ وما بعدها.

الثاني: تجنب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش قال الزمخشري في كشافه: القرآن لا يعمل فيه إلا على ما هو فاشٍ دائر على ألسنة فصحاء العرب، دون الشاذ النادر الذي لا يعثر عليه إلا في موضع أو موضعين.

الثالث: أن يكون مُلمًّا بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت.

الرابع: أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة.

الخامس: تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار، فإن لفظ الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له، وكثير من القدماء يسمون الزائد صلة. وعبر عنهم بعضهم بالتأكيد.

السادس: أن يراعي الرسم ومن ثمَّ خطيء من قال في سلسبيلاً أنها جملة أمرية أي سل طريقاً موصلة إليها، لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة.

السابع: قد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر، والإعراب يمنع منه. والمتمسك به صحة المعنى ويؤول لصحة الإعراب قال ابن جني: «هذا موضع كان أبو علي ـ رحمه الله ـ (يقصد شيخه الفارسي) يعتاده، ويُلمُّ كثيراً به، ويبعث على المراجعة له، وإلطاف النظر فيه، وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتوروا كلاماً ما أمسكتَ بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب»[1].

ومثاله قوله تعالى « إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ »[2]. فالظرف الذي هو (يوم) يقتضي المعنى أنه يتعلق بالمصدر وهو (رجع) أي أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، ولكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر

---

(١) الخصائص: ابن جني جـ ٣ ص ٢٥٥.

(٢) سورة الطارق: الآيتين: ٨ ـ ٩.

ومعموله. فنحتال للإعراب بجعل العامل فيه فعلاً مقدراً هو (يرجعه) يعني يرجعه يوم تبلى. ودل عليه المصدر (رجعه) ودَلَّ رجعه على يرجعه دلالة المصدر على فعله.

وكقوله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ »[(١)] قال ابن جني: «فـ(إذ) هذه في المعنى متعلقة بنفس قوله «لمقت الله»، أي يقال لهم: لمقت الله إياكم وقت دعائكم إلى الإيمان فكفركم، أكبر من مقتكم أنفسكم الآن، إلا أنك إن حملت الأمر على هذا كان فيه الفصل بين الصلة التي هي (إذ) وبين الموصول الذي هو (لمقت الله) فإذا كان المعنى ومنع جانبُ الإعراب منه أضمرت ناصباً يتناول الظرف ويدل المصدر عليه حتى كأنه قال بآخره: مقتكم إذ تدعون»[(٢)].

وقد يقع في كلامهم هذا تفسير معنى، وهذا تفسير إعراب، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضره مخالفة ذلك.

أهم المؤلفات فيه:

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة سلك مؤلفوها اتجاهات مختلفة فمنهم من اقتصر على إعراب القرآن ومشكله مثل مكي، ومنهم من عرض لإعراب غريب القرآن كابن الأنباري في كتابه (البيان في إعراب غريب القرآن) ومنهم من جمع بين أوجه القراءات والإعراب مثل (معاني القرآن) للفراء (والمحتسب) لابن جنيّ و(الحجة) لابن فارس[(٣)].

---

(١) سورة غافر: الآية: ١٠.

(٢) الخصائص: ابن جني جـ ٣ ص ٢٥٦.

(٣) انظر مقدمة التبيان في إعراب القرآن: للعكبري ص جـ، د تحقيق علي البجاوي.

ومن ألف في هذا العلم:

١ ـ أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ت(٣٣٨ هـ) وكتابه (إعراب القرآن) طبع في ثلاثة أجزاء كبار بتحقيق الدكتور زهير غازي زاهد.

٢ ـ ابن خالويه ت(٣٧٠ هـ) وكتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) طبع في مجلد في مائتين وخمسين صفحة.

٣ ـ مكي بن أبي طالب القيسي ت(٤٣٧ هـ) وكتابه (مشكل إعراب القرآن) طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور حاتم الضامن.

٤ ـ أبو البركات بن الأنباري ت(٥٧٧ هـ) وكتابه البيان في غريب إعراب القرآن) طبع في مجلدين بتحقيق د. طه عبد الحميد طه.

٥ ـ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت(٦١٦ هـ) واسم كتابه (التبيان في إعراب القرآن) طبع في مجلدين بتحقيق علي البجاوي.

٦ ـ محي الدين درويش (معاصر) واسم كتابه (إعراب القرآن الكريم وبيانه) طبع في عشرة مجلدات.

٧ ـ محمد علي طه الدّرّة (معاصر) واسم كتابه (تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه) طبع في ستة عشر مجلد.

والمؤلفات غير هذا كثيرة كما قال السيوطي «أفرده بالتصنيف خلائق منهم مكي وكتابه في المشكل خاصة، والحوفي وهو أوضحها، وأبو البقاء العكبري وهو أشهرها، والسمين وهو أجلها على ما فيه من حشو وتطويل»[1].

---

(١) الإتقان: السيوطي جـ ١ ص ١٧٩.

غـريب القـرآن الكريـم

١ ــ تعريفــه:

للغريب معنيان (لغوي) و(اصطلاحى).

أما في اللغة[١] فمعنى (غَرَب): بَعُدَ و(الغَرْبُ): النوى والبعد والغريب: الغامض من الكلام ومنه كلمة غريبة، ورجل غريب بعيد عن أهله.

و(غرب) تفيد البعد في المكان، والغموض في الكلام.

وفي الإصطلاح: علم غريب القرآن هو:

(العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم)[٢].

٢ ــ موضوعــه:

وأما موضوعه فالكلمات التى تحتاج إلى تفسير و بيان في القرآن الكريم.

٣ ــ أهميتــه:

معرفة هذا العلم أمر ضروري للمفسر لابد منه، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى. قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله تعالى غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً» وقال مجاهد رحمه الله تعالى «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن

---

(١) انظر لسان العرب: ابن منظور مادة (غَرَب).

(٢) مقدمة تحقيق العمدة في غريب القرآن: مكى بن أبي طالب تحقيق يوسف المرعشلي ص١٤.

يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب» وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أدري ما قوله تعالى « رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ »(٢) حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: أفاتحك يعني أقاضيك.

وقال ايضا ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما، أنا فطرتها، يعنى ابتدأتها.

وجاءه رجل من هذيل فقال له ابن عباس: ما فعل فلان؟ قال: مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء. فقال ابن عباس « فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ »(٣) قال: ولد الولد(٤).

وعلم اللغة ومعرفة غريبها ضروري لمعرفة التفسير ولهذا عقد الخطابي رحمه الله تعالى في كتابه (غريب الحديث) بابا بعنوان (القول فيما يجب على من طلب الحديث من تعلم كلام العرب وتعرف مذاهبها ومصارف وجوهها)(٥).

وقال فيه «وملاك الأمر فيما تمس بهم إليه الحاجة منها معرفة أبواب

---

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي جـ١ ص٢٩٢ـ٢٩٣ والإتقان: السيوطي جـ١ ص١١٩.

(٢) سورة الاعراف: الآية: ٨٩.

(٣) سورة هود: الآية: ٧١.

(٤) البرهان: الزركشي: جـ١ ص٢٩٣.

(٥) غريب الحديث: ابو سليمان حمد بن محمد الخطابي جـ١ ص٥٣.

ثلاثة وهي:

أمثلة الأسماء

وأبنية الأفعال.

وجهات الإعراب.

فإن من لم يحكم هذه الأصول لم يكمل لأن يكون واعياً لعلم. أو راوياً له وبالحريّ أن يكون ما يفسده منه أكثر مما يصلحه»(١).

ومثل هذا يقال في معرفة غريب القرآن الكريم فإن الخطأ فيه يوقع الخطأ في التفسير والبعد عن الصواب حتى من الكبار فقد سئل أبو العالية الرياحي عن معنى قوله تعالى «ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ»(٢) فقال هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر قال الحسن: مَهْ يا أبا العالية! ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم ألا ترى قوله **«عن صلاتهم»** فلما لم يتدبر أبو العالية حرف (في) و(عن) تنبه له الحسن إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال **«في صلاتهم»** فلما قال **«عن صلاتهم»** دَلَّ على أن المراد به الذهاب عن الوقت.

ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى: «وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ»(٣) أنه من عشوت أعشو عشوا: اذا نظرت. وغلطوه في ذلك، وإنما معناه يُعْرِضُ، وانما غلط لأنه لم يفرق بين عشوت إلى الشيء وعشوت عنه.

---

(١) المرجع السابق: نفس الموضع.

(٢) سورة الماعون: الآية: ٥.

(٣) سورة الزخرف: الآية: ٣٦.

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا»(١).

قال: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق ومنه «دم فراغ» أي لا قود فيه ولا دية. وقال بعض الأدباء: أخطأ ابو عبيدة في المعنى، لو كان قلبها فارغاً من الحزن عليه لما قال: «لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا»(١) لأنها كادت تبدي به(٢).

قال الزركشي رحمه الله تعالى معقباً على هذه الأخبار: «وهذا الباب عظيم الخطر ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذرا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين»(٣).

٤ ــ نشأته وتطوره:

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس لسانا، وأوضحهم بيانا يخاطب الوفود بما يفهمون، و يكلمهم بما يعرفون، وهذه طريقة القرآن في الخطاب وقد كان خلقه ــ عليه الصلاة والسلام ــ القرآن.

وكان الصحابة رضي الله عنهم وهم أهل اللسان العربي يدركون قوله و يفهمون معناه واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن فتحت البلدان واتسعت رقعة البلاد الإسلامية فاختلط العرب بالروم والفرس والأحباش والأقباط والبربر وغيرهم من الشعوب فشابت الأذواق شوائب فالتبست عليهم بعض الألفاظ، وغمض عليهم بعض المعاني، فاتجهت طائفة من العلماء لتفسير ما يحتاج إلى بيان من الفاظ القرآن والحديث. وسمي هذا

(١) سورة القصص: الآية: ١٠.

(٢) البرهان: الزركشي جـ١: ص٢٩٥.

(٣) المرجع السابق: جـ١ : ص٢٩٥.

العلم (غريب القرآن) و(غريب الحديث).

ولـم تـكن هذه التسمية لهذا العلم هي الوحيدة في أول الأمر بل كان يسمى:

١ ــ معاني القرآن:

قـال ابـن الصلاح: «وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معنى القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري»(١).

٢ ــ إعراب القرآن:

وقد ورد في الحديث «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»(٢) قال السيوطي «المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة»(١).

٣ ــ مجاز القرآن:

وليس المراد به (المجاز) عند علماء البلاغة وإنما المراد معاني الفاظه ولذا فإن أبا عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات (مجازه كذا) و(تفسيره كذا) و(معناه كذا) و(غريبه) و(تقديره) و(تأويله) على أن معانيها واحدة أو تكاد ومعنى هذا أن كلمة (المجاز) عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة (المجاز) فيما بعد»(٣).

---

(١) الإتقان: السيوطي جـ١ ص١١٣.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك جـ٢ ص٤٣٩ وقال الذهبي أجمع على ضعفه.

(٣) انظر مقدمة مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى تحقيق د/فؤاد سزكين جـ١ ص١٨ــ١٩.

واختلف في **أول من ألف في هذا العلم** فقيل:

١ ــ ابن عباس رضي الله عنهما في اجاباته على اسئلة نافع بن الأ زرق وهي مائة وتسعة وثمانين سؤالاً. وقد ضمنها السيوطي كتابه الإتقان(١).

٢ ــ وقيل أبان بن تغلب البكري (ت١٤١هـ) في كتابه (غريب القرآن).

٣ ــ وقيل ابو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن).

والمؤلفات في هذا العلم تنقسم من حيث الترتيب إلى قسمين:

١ ــ قسم جاء ترتيب الألفاظ فيه على ترتيب السور فيذكر اسم السورة ثم يذكر الغريب من كلماتها. ومن المؤلفات في ذلك مجاز القرآن لأ بي عبيدة، وتفسير غريب القرآن لأ بن قتيبة، ومعاني القرآن للزجاج.

٢ ــ وقسم رتبها على حروف الهجاء مثل كتاب (تنو ير القلوب) للسجستاني وكتاب (مفردات غريب القرآن) للأصفهاني وكتاب (تحفة الأ ريب) لأ بي حيان.

٥ ــ أهم المؤلفات في غريب القرآن:

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة جداً قال السيوطي (أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون)(٢) ومنها:

١ ــ مسائل نافع بن الأ زرق: وقد قام بتحقيقها ودراستها الدكتورة عائشة عبد الرحمن و بلغت المسائل ١٨٩ مسألة.

٢ ــ مجاز القرآن: لأ بي عبيدة معمر بن المثنى ت(٢١٠هـ) وقام بتحقيقه

(١) انظر الاتقان: السيوطي جـ١ من ص١٢٠ الى ص١٣٣.

(٢) المرجع السابق: جـ١ ص١١٣.

الدكتور محمد فؤاد سزكين في مجلدين.

٣ ــ معاني القرآن: الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) في مجلدين.

٤ ــ تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة ت(٢٧٦هـ).

٥ ــ معاني القرآن واعرابه: الزجاج ت(٣١١هـ) في خمسة مجلدات.

٦ ــ نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم لمحمد بن عزيز العزيزي السجستاني ت(٣٣٠هـ).

٧ ــ العمدة في غريب القرآن: منسوب لمكي بن ابي طالب القيسى ت(٤٣٧هـ) تحقيق يوسف المرعشلي.

٨ ــ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني ت(٥٠٢هـ).

٩ ــ الأريب بما في القرآن من الغريب: ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

١٠ــ تحفة الأريب في تفسير الغريب: لابي حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) طبع بتحقيق د. احمد مطلوب ود. خديجة الحديثي. وطبع أخرى بتحقيق سمير المجذوب.

١١ ــ معجم ألفاظ القرآن الكريم: وضعه أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

١٢ــ كلمات القرآن تفسير و بيان: حسنين مخلوف.

قال السيوطي: «أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم ابو عبيدة، وابو عمر الزاهد، وابن دريد، ومن أشهرها كتاب (العزيزي) فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة.. ومن أحسنها المفردات للراغب»(١)

(١) الإتقان: السيوطي جـ١ ص١١٣.

الوجــوه والنظـائر

التعريـف:

الوجوه لغة: جمع وجه، ووجه كل شيء مُستَقْبَلُه.

ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به(١).

والـنـظـائر لـغـة: جمع نـظـيـرة، وهـي الـمِـثْلُ والشبه في الأشكال، الأخلاق، والأفعال والأقوال(٢).

والـوجـوه والنظائر في الاصطلاح: اختلف العلماء في تعريفهما الى قولين:

الأول: لابـن الجـوزي وآخـريـن وهو: «أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظٍ واحدٍ، وحـركـة واحـدة وأريـد بـكـل مـكـان مـعـنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكـرت في مـوضـع نـظير للـفـظ الـكـلـمـة المذكورة في الموضع الآخر (وهو الـنـظـائر)(٣) وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى (هو الوجوه) فإذن النظائر: اسم للألفاظ والوجوه: اسم للمعاني»(٤).

الـثـانـي: للزركشي وآخـريـن وهـو: أن الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة. والنظائر كالألفاظ المتواطئة(٥).

---

(١) لسان العرب: اين منظور جـ١٣ ص٥٥٥ـ٥٥٦.

(٢) المرجع السابق: جـ٥ ص٢١٩.

(٣) عبـارة (هـو الـنـظـائـر) زيادة يقتضيها السياق، وقد وردت كذلك في كشف الظنون جـ٢ ص٢٠٠١ الذي نقل هذا النص بأكمله.

(٤) نزهة الأعين النواظر: ابن الجوزي ص٨٣.

(٥) البرهان: الزركشي جـ١ ص١٠٢.

وفي عبارة الزركشي شيء من الغموض ولعلها تصبح أقرب إلى الذهن إذا قلنا الوجوه هي المعاني المختلفة التى تكون للفظ الواحد في سياقات متعددة فيسمى اللفظ من أجل ذلك مشتركاً يعني تشترك فيه معان متعددة(١).

ولتوضيح القولين انظر الرسمين التاليين.

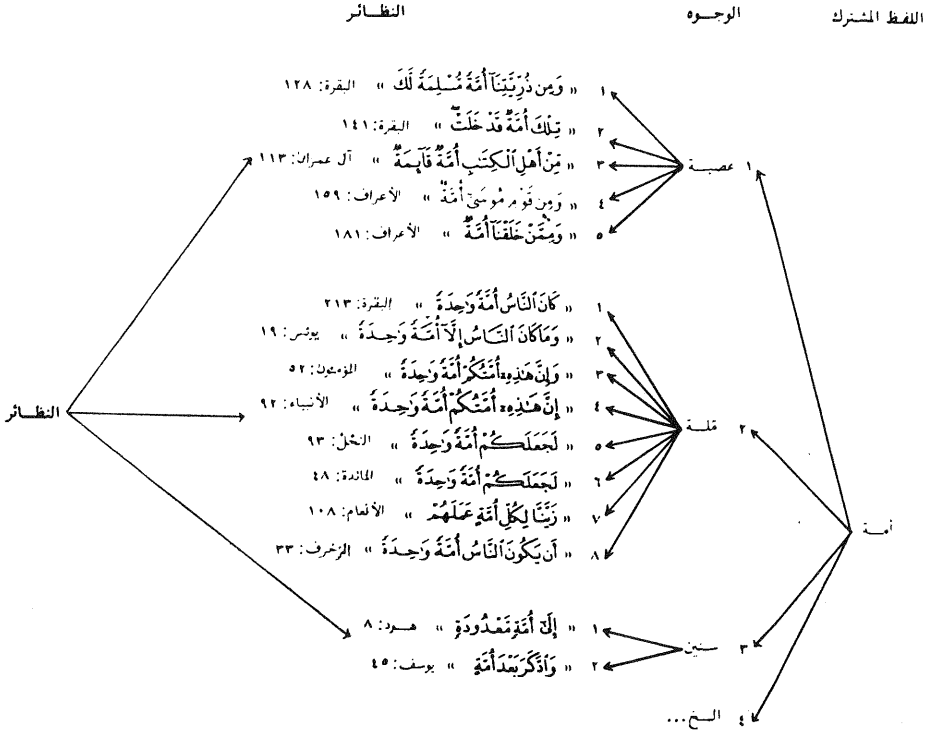

رسم بياني للتعريف الأول للوجوه والنظائر عند ابن الجوزي وغيره

---

(١) من مقدمة كتاب التصاريف: يحي بن سلام ص١٧ــ١٨ للدكتورة الفاضلة هند شلبي ولم أر من حقق القول في الوجوه والنظائر مثلها وفقها الله تعالى. وعنها نقلت الرسمين البيانيين.

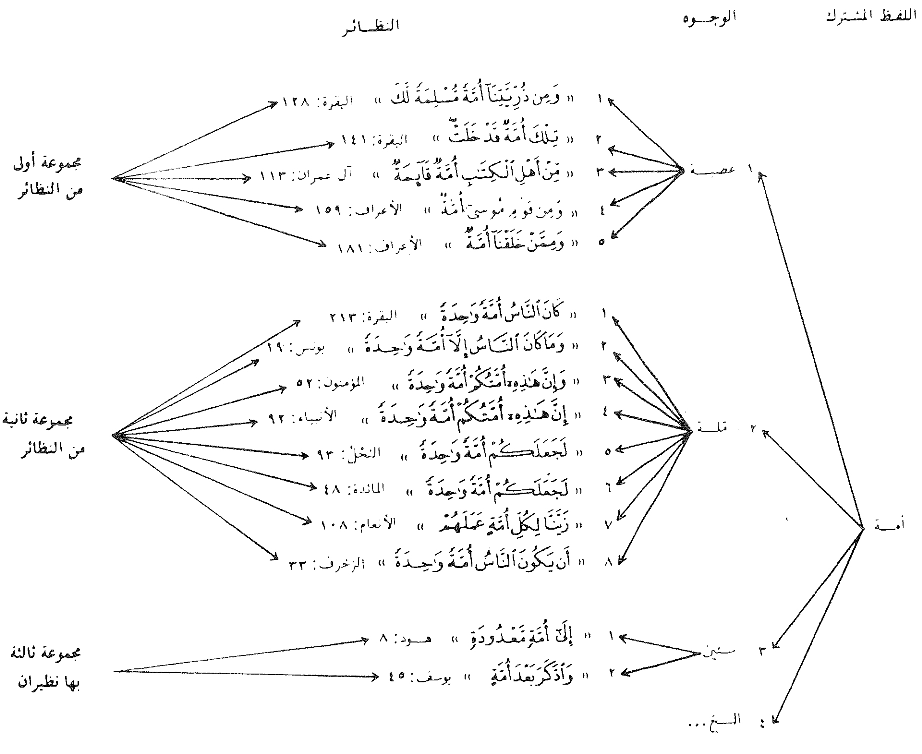

رسم بياني للتعريف الثاني للوجوه والنظائر عند الزركشي

و يظهر أن التعريفين يتفقان في معنى الوجوه. ويختلفان في تعريف النظائر(١). و ينبغي أن نذكر أنه ليس من الضروري أن تكون الكلمة المشتركة على لفظ واحد وحركة واحدة ـ كما جاء في التعريف الأول ـ لأن كتب الوجوه والنظائر جرت على استعمال اللفظة ومشتقاتها على السواء(١).

---

(١) المرجع السابق: ص٢١ـ٢٢.
(٢) المرجع السابق: ص٢٤.

موضوع هذا العلم:

هو الكلمات القرآنية التى تكرر ورودها في القرآن الكريم بلفظها أو ما اشتق منه لمعاني مختلفة.

أهمية هذا العلم:

ثراء اللغة العربية وشمولها ليس نتاج جملتها ومجموع ألفاظها فحسب بل ثراء مفرداتها، إذ أن كثيراً من مفردات اللغة العربية ثرية بالمعاني والمدلولات المتعددة والمختلفة بحيث يمكن التعبير بلفظ واحد عن معاني مختلفة فضلاً عن أن كل معنى من هذه المعاني له لفظ خاص به أو يدل على معاني أخرى غيره.

وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين فجاء تعبيره عن المعنى الواحد حينا بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة، وعبر بلفظ واحد ايضا عن معاني متعددة وفي هذا فضلاً عن الصور البيانية، والوجوه البلاغية دفع للملل والسأم وإظهار للعبارة بمظهر الجِدَّة.

وتوسع القرآن الكريم في ذلك وجاوز قدرة أهل اللغة أنفسهم وعجزوا عن مجاراته فكان هذا كما قال الزركشي من أنواع معجزات القرآن الكريم(١).

وتظهر أهمية هذا العلم في معرفة مدلول الألفاظ وأنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن إلا إذا علم مدلول كل لفظ وعرف معناه وأدرك استعمالات الألفاظ، بل لابد من فهم ذلك وإدراكه لما يترتب عليه من اختلاف في فهم العقيدة الصحيحة، واستنباط الأحكام الشرعية وإلا فقد أخطأ الفهم

---

(١) البرهان: الزركشي جـ١ ص١٠٢.

وبعد عن الصواب وتجرأ على القول في القرآن بغير علم ولهذا قال ابو الدرداء رضي الله عنه «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها» قال حماد فقلت لأيوب: أهو أن يرى له وجوها فيهاب الإقدام عليه؟ قال: نعم، هو هذا(١).

فمن لم يعرف الوجوه التي يحتملها اللفظ أخطأ في فهم العقيدة الصحيحة فالشرك مثلاً ورد في القرآن الكريم لمعان مختلفة فقد ورد:

١ ــ بمعنى الشرك بالله الذي يعدل به غيره «وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا» (٢).

٢ ــ وبمعنى الطاعة لغير الله من غير عباده «فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا» (٣) «إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ» (٤).

٣ ــ والشرك في الأعمال بمعنى الرياء. قال تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» (٥).

فمن لم يدرك هذه المعاني للشرك وقع في اللبس، وكذا في استنباط الأحكام الشرعية فالطعام ــ مثلا ــ ورد في القرآن لمعان مختلفة منها:

---

(١) مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده جـ٢ ص ٤١٥ قال أخرجه ابن عساكر وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر جـ٢ ص٥٦ وقال: هذا حديث لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه إنما هو من قول ابي الدرداء، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٢ ص٣٥٧ والنهاية في غريب الحديث: لابن الأثير جـ٥ ص١٥٩.
ولسان العرب: لابن منظور جـ١٣ ص٥٥٦ وقالا (أي ترى له معاني يحتملها فتهاب الإقدام عليه).

(٢) سورة النساء: الآية: ٣٦.

(٣) سورة الاعراف: الآية: ١٩٠.

(٤) سورة ابراهيم الآية: ٢٢.

(٥) سورة الكهف: الآية: ١١٠.

١ ـ بمعنى الطعام الذي يأكله الناس «فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا»(١) «الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ»(٢).

٢ ـ بمعنى الشراب «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا»(٣) «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي»(٤).

٣ ـ بمعنى الذبائح «وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ»(٥).

٤ ـ بمعنى السمك المملح «أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ»(٦).

فمن لم يدرك هذه الوجوه لم يعرف الصواب والتبس عليه الحق بالباطل ومن عرف هذه الوجوه وأن للكلمة أكثر من معنى تهيب الإقدام على التفسير كما أشار ابو الدرداء رضي الله عنه.

نشأته وتطوره:

نشأ هذا العلم في عصر مبكر في صدر الإسلام فقد نقلنا آنفا قول أبي الدرداء رضي الله عنه «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها» وقد كان هذا معلوماً عند الصحابة رضي الله عنهم ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما حين بعثه إلى الخوارج

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: ٥٣.
(٢) سورة قريش: الآية: ٤.
(٣) سورة المائدة: الآية: ٩٣.
(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٤٩.
(٥) سورة المائدة: الآية: ٥.
(٦) سورة المائدة: الآية: ٩٦.

«إذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة وحين قال ابن عباس رضي الله عنهما «يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل. قال علي رضي الله عنه: صدقت. ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة»[1].

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين شيء من هذا النوع فقد روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة»[2].

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال «كل ريب: شك، إلا مكاناً واحداً في الطور ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾[3] يعنى حوادث الأمور»[4].

ورُوي عن أبي بن كعب رضي الله عنه ـ أنه قال: «كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب»[4].

ورُوي عن أبي العالية أنه قال «كل آية في القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنا إلا قوله تعالى «﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾»[5] فالمراد أن لا يراها أحد[4].

وروى الطبري عن الضحاك (.. وكل شيء في القرآن من الألم فهو الموجع)[6].

---

(١) انظر: الاتقان: السيوطي جـ ١ ص ١٤٢.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٧٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٦ ص ٣٢٠ (ضعيف).

(٣) سورة الطور: الآية: ٣٠.

(٤) الإتقان: السيوطي جـ ١ ص ١٤٤.

(٥) سورة النور: الآية: ٣٠.

(٦) جامع البيان: الطبري جـ ١ ص ٢٨٤.

وروى عن سعيد بن جبير أنه قال: العفو في القرآن على ثلاثة أنحاء:

نحو: تجاوز عن الذنب.

ونحو: القصد في النفقة «وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ»(١).

ونحو: في الاحسان فيما بين الناس «إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ»(٢)(٣).

وغير ذلك من الشواهد الدالة على نشأة هذا العلم في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

إلا أن التدوين لم يكن في هذا العصر المبكر بل إن أقدم كتاب وصل إلينا يرجع إلى القرن الثاني وهو (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) لمقاتل بن سليمان ت(١٥٠هـ).

وقد نسبت كتب في الوجوه والنظائر قبل هذا إلى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما والى على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما(٤).

أهم المؤلفات فيه:

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة جداً منها ما طبع ومنها ما زال مخطوطاً ومنها ما هو مفقود ومن أهم المؤلفات:

١ ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان البلخي ت(١٥٠هـ).

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٢١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٣٧.

(٣) الاتقان: السيوطي: جـ١ ص١٤٥.

(٤) نزهة الأعين النواظر: ابن الجوزي ص٨٢.

٢ ــ ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: ابو العباس المُبَرِّدْ ت(٢٨٥هـ).

٣ ــ تحصيل نظائر القرآن: الحكيم الترمذي ت(٢٨٥هـ).

٤ ــ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ابوعبد الله الدامغاني ت(٤٧٨هـ).

٥ ــ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت(٥٩٧هـ).

٦ ــ كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر: ابن العماد ت(٨٨٧هـ).

هذه بعض المؤلفات في هذا العلم وغيرها كثير والله اعلم.

قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر

للتفسير قواعد مهمة تعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى وعلى المفسر معرفتها والالتزام بها، وهي قواعد جليلة، وعديدة، ومن أهمها:

أولاً: كل عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه.

بمعنى أن لفظ الآية الذي يحتمل أكثر من معنى يفسر بكل هذه المعاني حتى يقوم دليل على تخصيص أحدها دون الباقي قال الطبري رحمه الله تعالى «غير جائز إدعاء خصوصٍ في آية عام ظاهرها إلا بحجة يجب التسليم لها»(١).

وقد التزم رحمه الله تعالى هذه القاعدة في تفسيره ففي تفسير قوله تعالى «﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾»(٢) قال: «والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا إن الله أقسم بكل والد وولده لأن الله عَمَّ كل والد وما ولد وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل ولا خبر بخصوص ذلك ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه فهو على عمومه كما عَمَّه»(٣).

وفي تفسير قوله تعالى «﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾»(٤) قال الطبري «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي تورى النيران قدحاً فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان مثلاً يوري بالمنطق والرجال يورون بالمكر مثلاً وكذلك الخيل

---

(١) جامع البيان: الطبري جـ٢ ص٥٣٩.

(٢) سورة البلد: الآية ٣.

(٣) جامع البيان: الطبري جـ٣٠ ص١٢٥.

(٤) سورة العاديات: الآية: ٢–٣.

تهييج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض فكل ما أورت النار قدحاً فداخلة فيما أقسم الله به لعموم ذلك بالظاهر»(١).

وقال في تفسير «فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا»(٢): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أقسم بالمغيرات صبحا ولم يخصص من ذلك مغيرة دون مغيرة، فكل مغيرة صبحاً فداخلة فيما أقسم الله به»(٣).

وفي تفسير قوله تعالى «وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ»(٤) قال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه آمنهم من خوف، والعدو مخوف منه، والجذام مخوف منه ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدو دون الجذام ولا من الجذام دون العدو بل عَمَّ الخبر بذلك فالصواب أن يُعَمَّ كما عَمَّ جل ثناؤه»(٥).

ثانيا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

قال العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى «وهذه القاعدة نافعة جداً بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير» ثم قال «فمتى راعيت هذه القاعدة حق الرعاية وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول انما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورة عليها فقولهم: نزلت في كذا وكذا معناه: أن هذا مما

---

(١) المرجع السابق: جـ٣٠ ص١٧٨.
(٢) سورة العاديات: الآية: ٢ــ٣.
(٣) المرجع السابق: جـ٣٠ ص١٧٨.
(٤) سورة قريش: الآية: ٤.
(٥) المرجع السابق: جـ٣٠ ص٢٠٠.

يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها»[1].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى «قولهم هذه الآية نزلت في كذا... لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق»[2].

وقد روى الطبري في تفسير قوله تعالى « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ »[3] عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: «إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعدُ»[4] مع أن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق[5].

ثالثاً: اختلاف القراءات في الآية يعدد معانيها:

لا يخلو اختلاف القراءات من حالتين:

الاولى: أن يكون الإختلاف في وجوه النطق بالحروف والحركات كالإظهار والإدغام والإمالة والمد ونحو ذلك وهذا لا تعلق له بالتفسير كبير.

الثانية: ان يكون الإختلاف في الكلمات أو اختلاف الحركات الذي يؤدي إلى اختلاف المعنى وهذا له تأثير في التفسير.

فإن الإختلاف في القراءات يؤدي إلى تعدد المعاني للآية فلكل قراءة معناها الخاص بها وهذا ظاهر لا يحتاج إلى تمثيل.

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن سعدي ص٧.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص٤٤ و٤٧ وبين أول النص و باقيه جملة اعتراضية فيها أمثلة لأسباب النزول حذفتها اختصاراً.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٤.

(٤) جامع البيان: ابن جرير الطبري جـ٤ ص٢٣٢.

(٥) المرجع السابق: جـ٤ ص٢٢٩.

رابعاً: المعنى يختلف باختلاف رسم الكلمة:

فقد يكون لبعض الكلمات أكثر من معنى إلا أن رسمها في المصحف يرجح أحد المعنيين ففي قوله تعالى «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ»(١).

اختلف العلماء في قوله (فلا تنسى):

١ ــ أنها للنفي وتكون بمعنى الإخبار.

٢ ــ أنها للنهي.

ورسم الكلمة يرجح أنها للنفي لوجود الألف المقصورة ولو كانت لا للنهي لصار الفعل بعدها مجزوماً بحذف الحرف المعتل في آخره وكتبت الكلمة هكذا (تنس) فدل بقاؤ الألف في الرسم على أن لا للنفي وليست للنهي(٢).

وفي قوله تعالى: «وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ»(٣) قولان للعلماء:

الأول: أن الضمير (هم) في موضع رفع مؤكد لواو الجماعة. وعلى هذا فإنه يجوز الوقف على (كالو) والمعنى إذا كال المطففون أنفسهم.

الثاني: أن الضمير (هم) في موضع نصب أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه والمفعول محذوف وهو المكيل والموزون.

---

(١) سورة الأعلى: الآية: ٦.

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن: القرطبي جـ٢٠ ض١٩ وروح المعاني: الألوسي جـ٣٠ ص١٠٥.

(٣) سورة المطففين : الآية: ٣.

ورسم الكلمة يرجح المعنى الثاني لأنه لو كان المراد المعنى الأول لأثبت بعد الفعل كالو ووزنو ألفاً هكذا (كالواهم) و(وزنواهم) فدل عدمها على رجحان القول الثاني الذي لا يطلبها.

قال الإمام الطبري «والصواب في ذلك عندي الوقف على هم» ثم قال لو كانت هم كلاما بمستأنفاً كانت كتابة كالوا ووزنوا بألف فاصلة بينها وبين هم مع كل واحد منهما إذ كان بذلك جرى الكتّاب في نظائر ذلك»(١).

خامساً: السياق القرآني:

وهذه قاعدة مهمة، فعلى المفسر أن لا ينظر في الكلمة أو الجملة مستقلة بنفسها بل عليه ان ينظر إليها في سياق النص القرآني فإن ذلك معين على تحديد المعنى المراد لا سيما إذا كان للكلمة أو الجملة أكثر من معنى.

وبهذه القاعدة رجح الطبري وغيره من المفسرين بعض الأقوال وردوا غيرها ففي تفسير قوله تعالى «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ »(٢). قال الطبري: «وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ»(٢) يعنى به الشياطين وأن قوله « لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »(٢) يعني به الناس. وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف. وذلك أنهم مجمعون على أن قوله: «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ » معنيٌّ به اليهود دون الشياطين: ثم هو ـ مع ذلك ـ خلاف ما دَلّ عليه التنزيل، لأن الآيات قبل قوله «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ»(٢) وبعد قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»(٢) جاءت من الله بذم اليهود وتوبيخهم

---

(١) جامع البيان: الطبري: جـ٣٠ ص٥٨ وانظر البحر المحيط: ابن حيان جـ٨ ص٤٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٠٢.

على ضلالهم وذماً لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم مع علمهم بخطأ فعلهم. فقوله «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ»(١) أحد تلك الأخبار عنهم(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ»(٣) نقل الطبري عن قتادة قوله: هؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن غيره أنهم علماء بني إسرائيل الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليهم وسلم ثم رجح القول الثاني فقال «وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بَدَّل منهم كتاب الله، وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل ولم يجر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها ذكر.. ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها»(٤).

وفي تفسير قوله تعالى «سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ»(٥) قيل: سأريكم مصيرهم وقيل: سأريكم جهنم. وقيل: سأريكم ديارهم في الشام وقيل سأريكم دار فرعون وهي مصر. ورأى الطبري أنها للتهديد لمن عصاه وخالف أمره ثم قال «وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الذي قبل قوله جل ثناؤه: «سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ» أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه، وفرَّط في العمل لله، وحاد عن سبيله، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه، أو عما لم

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١٠٢.
(٢) جامع البيان: الطبري جـ ٢ ص ٤٥٦.
(٣) سورة البقرة: الآية: ١٢١.
(٤) جامع البيان: الطبري جـ ٢ ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥.
(٥) سورة الأعراف: الآية: ١٤٥.

يجر له ذكر(١).

وفي تفسير قوله تعالى « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى . . . »(٢) قيل: نزلت في قوم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا أنهم يحبون الله. وقيل: نزلت رداً على النصارى في ادعائهم أن ما يقولون عن عيسى عليه السلام إنما هو محبة لله. وقد رجح ابن جرير الطبري القول الثاني «لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ولا قيل هذه الآية ذكر لقوم ادعوا أنهم يحبون الله ولا أنهم يعظمونه»(٣).

سادساً: التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة:

وذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فلا يصح تفسيره بغير الأظهر والأغلب والأبين من كلام العرب قال الإمام الطبري «غير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل»(٤) وقال في موضع آخر «كلام الله الذي خوطب به العرب غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل من معانيه، إلا أن تأتي دلالة أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك يجب التسليم لها»(٥).

وقد التزم الطبري رحمه الله تعالى هذه القاعدة في تفسيره فقال في تفسير قوله تعالى « وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ »(٦) بعد أن ذكر

---

(١) جامع البيان: الطبري جـ ١٣ ص ١١٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية: ٣١.
(٣) جامع البيان: الطبري جـ ٦ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٤.
(٤) جامع البيان: الطبري جـ ٨ ص ٥٧٨.
(٥) المرجع السابق: جـ ٨ ص ٤٨٢.
(٦) سورة البقرة: الآية: ١٠٢.

أقوال العلماء في معنى (خلاق) قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى (الخلاق) في هذا الموضع: النصيب. وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب»[1].

سابعاً: تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي:

إذا كان للكلمة الواحدة معنيان أو أكثر أحدهما لغوي والآخر شرعي واختلف المعنيان قدم المعنى الشرعي لأن القرآن الكريم نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة إلا أن تدل قرينة على إرادة المعنى اللغوي[2].

مثال ما قدم فيه المعنى الشرعي قوله تعالى في المنافقين «وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا»[3] فالصلاة لها معنيان لغوي هو (الدعاء) وشرعي وهو هنا صلاة الجنازة، فيقدم المعنى الشرعي لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب[4].

ومثال ما قدم فيه المعنى اللغوي لقرينة قوله تعالى «خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ»[5] فالمراد بالصلاة هنا الدعاء بدليل حديث مسلم (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال «اللهم صلِّ عليهم»**)[6].

---

(١) جامع البيان: جـ ٨ ص ٤٥٣.

(٢) انظر البرهان: الزركشي جـ ٢ ص ١٦٧ وأصول التفسير: ابن عثيمين ص ٢٩.

(٣) سورة التوبة: الآية: ٨٤.

(٤) أصول التفسير: ابن عثيمين ص ٢٩.

(٥) سورة التوبة: الآية: ١٠٣.

(٦) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٧٥٦ وانظر أصول التفسير: ابن عثيمين ص ٢٩ ـ ٣٠.

أهم المؤلفات في التفسير ومناهجه

أولا: المؤلفات في التفسير:

لا يعرف التاريخ كتاباً أَلَّفَ فيه المؤلفون، ودرسه الدارسون وصَنَّف فيه المصنفون، مثل القرآن الكريم.

ولذا فإنه ليس بالمستطاع ــ إن لم يكن من المستحيل ــ حصر جميع المؤلفات عن القرآن قديماً وحديثاً، وليس المقام هنا مقام استيفاء، وانما سنذكر تعريفاً موجزاً لتفاسير معدوده ومؤلفيها كما يلي:

١ ــ تعريف ببعض المؤلفات في التفسير بالمأثور ومؤلفيها.

٢ ــ تعريف ببعض المؤلفات في التفسير بالرأي ومؤلفيها.

٣ ــ تعريف ببعض المؤلفات في التفسير في العصر الحديث ومؤلفيها.

١ ــ المؤلفات في التفسير بالمأثور ومؤلفوها:

وهي مؤلفات كثيرة عديدة ومن أشهرها:

١ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن:

مؤلفه: هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد في (آمُل) في طبرستان سنة ٢٢٤ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠[١].

كان عالماً بالقراءات، وإماما في التفسير، بارعاً في الحديث وشيخاً للمؤرخين، إنفرد في الفقه بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات وله أتباع ومقلدون[٢].

قال عنه ابن الخطيب «جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل

---

(١) طبقات المفسرين: الداودي جـ٢ ص: ١١٤.

(٢) طبقات المفسرين: السيوطي ص٩٦.

عصره»(1). وقال ابن خزيمة «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد ابن جرير»(2). وقال عنه السيوطي إنه «رأس المفسرين على الإطلاق»(3).

وله مؤلفات عديدة منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع بعد، فمن ذلك:

في علوم القرآن: كتاب في القراءات، (الغرائب)، (التنزيل) (العدد) وكتاب في التفسير و(تاريخ الرجال) في الصحابة والتابعين و(لطيف القول) جمع فيه مذهبه الذي اختاره و(الخفيف) و(التبصير) و(تهذيب الآثار) و(البسيط) و(الفضائل) ومن أهم كتبه (تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم).

تفسيره: أمّا تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) فلم يؤلَّف قبلَه ولا بعدَه مثله في موضوعه ولا يزال المفسرون عالة على تفسيره في التفسير بالمأثور، و يتميز تفسيره بمزايا منها:

١ ــ اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين.

٢ ــ إلتزامه بالإسناد في الرواية.

٣ ــ عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح.

٤ ــ ذكره لوجوه الإعراب.

٥ ــ دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.

---

(١) تاريخ بغداد: ابن الخطيب جـ٢ ص: ١٦٣.

(٢) طبقات المفسرين: الداودي جـ٢ ص: ١١١.

(٣) طبقات المفسرين: السيوطي ص٩٥.

وكان هذا التفسير مفقوداً إلى وقت قريب حيث عُثِرَ على نسخة مخطوطة منه عند أحد أمراء حائل وهو حمود بن عبيد الرشيد(١).

فطُبِعَ على هذه النسخة في ٣٠ جزء، ثم نُقِّحَ بعد ذلك وطُبِعَ أخرى سنة ١٩١١م(٢)، وصُوِّرت هذه الطبعة عدة مرات بعد ذلك.

وقام الشيخان الفاضلان محمود وأحمد محمد شاكر بتحقيق الكتاب والتعليق عليه ومراجعته وتخريج أحاديثه وصدر منه ستة عشر جزءاً إلى نهاية تفسير الآية ٢٧ من سورة ابراهيم، ثم توقف العمل. نسأل الله أن يهيء من عباده العلماء من يُتِمَّه.

قال النووي: «لم يصنف أحد مثله»(٣) يعنى تفسير الطبري.

وقال ابو حامد الإسفراييني» لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً»(٤).

وقال ابن تيمية «وأمّا التفاسير التى في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة. وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير، والكَلْبِي»(٥).

---

(١) مذاهب التفسير الاسلامي: جولد تسهر ترجمة د. عبد الحليم النجار ص١٠٩ والتفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٠٧.

(٢) مذاهب التفسير الاسلامي: جولد تسهر ص١٠٩.

(٣) الإتقان: السيوطي، جـ: ٢ص: ١٩٠.

(٤) طبقات المفسرين: الداودي جـ٢ ص: ١٠٩.

(٥) مجموع فتاوي ابن تيمية جـ: ١٣ ص ٣٨٥.

٢ ـ تفسير (معالم التنزيل) للبَغَوي:

مؤلفــه: هو الحسين بن مسعود البَغَوي(١).

الفقيه المفسر المُحدِّث يلقب بمُحيي السُنَّة، كان تقياً ورعاً، إذا ألقى الدرس لا يُلقيه إلا على طهارة، ولد حوالى ٤٣٠ في بلدة «بَغ» في خراسان وتوفي سنة ٥١٠ بمرو الروذ، كان حافظاً للقرآن، عالماً بالقراءات، وبما أثِرَ عن الصحابة والتابعين في التفسير والفقه، ومن أئمة الحديث وحفاظه واسع المعرفة بمتونه وأسانيده وأحوال رجاله ورواته، واسع العلم في اللغة وفقهها، والفقه ومسائله.

ومن مؤلفاته (شرح السنة) وهو من أجلّ كتب السنة و(مصابيح السنة) و(التهذيب) في فقه الإمام الشافعي وغير ذلك.

تفســيره:

قال عنه ابن تيمية: «والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة»(٢).

وقد طُبِعَ هذا التفسير مع تفسير ابن كثير، ثم طبع في حاشية تفسير الخازن، وطبع مستقلا في أربعة مجلدات و يتميز هذا التفسير بأنه ليس بالطويل المُمِلّ، ولا بالقصير المُخِلّ، و بتفسيره القرآن بالقرآن و بالسنة ثم بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وإيراد أسباب النزول، وذكر الأحكام الفقهية في الآيات القرآنية.

---

(١) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: لداودي جـ: ١ص: ١٥٧ـــ١٥٨. وفي تفسير البغوي جـ١ ص١٧ـــ٢٥.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص٧٦.

وإذا رَوَى حديثاً نبوياً ساقه بالإسناد الصحيح أو الحسن وما يرويه عن الصحابة أو التابعين فغالباً لا يذكر الإسناد لأنه ذكر في المقدمة إسناده إلى كل من رَوَى عنه منهم.

و يذكر الإختلافات عن السلف في التفسير من غير ترجيح لأحدها أو قَدْح بشيء منها لاحتمال صحة جميع الأقوال.

لم يكثر في تفسيره من مباحث الإعراب، ونُكَتِ البلاغة، وتحاشي الخوض في المسائل الكلامية في آيات العقيدة والصفات، واكتفى بإيراد مذهب السلف فيها(١).

٣ ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية.

مؤلفه: ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسي(٢).

ولد سنة ٤٨١ تولى القضاء بمدينة (المَرِيَّة) في الأندلس وهو أحد أعلام الأندلس الحائزين قصب السبق في الفقه والحديث والتفسير والأدب، عَدَّه أبو حيان من أجلّ مَنْ صَنَّفَ في علم التفسير(٣) توفي رحمه الله تعالى في (لُوْرَقَه) في المغرب سنه ٥٤١.

تفسيره:

قال عنه ابن جُزَيّ الغرناطي «وأمّا ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تأليف مَنْ كان قبله فهَذَّبها ولَخَّصَها وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة»(٤).

---

(١) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٣٦ــ٢٣٧ وانظر تفسير البغوي تحقيق د. خالد العك ومروان سوار جـ: ١ص: ٢٢ــ٢٣.

(٢) انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودي جـ: ١ص: ٢٦٠ــ٢٦١.

(٣) البحر المحيط: ابو حيان جـ: ١ص: ٩.

(٤) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي جـ: ١ص: ١٧.

وعقد أبو حيان مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فقال: «وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص»(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وتفسير ابن عطيه وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، و يذكر ما يزعم أنه قول المحققين!! وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة»(٢).

وابن عطية يذكر الآية في تفسيره ثم يفسرها بعبارة عذبه سهلة، و يورد من التفسير بالمأثور، و ينقل عن ابن جرير الطبري و يناقش المنقول أحيانا و يكثر من الإستشهاد بالشعر العربي، ويحتكم إلى اللغة العربية عند توجيه بعض المعاني، و يهتم كثيراً بالصناعة النحوية، و يتعرض كثيراً للقراءات المختلفة و يفسر بعضها ببعض(٣).

وقد قامت وزارة الاوقاف في المغرب بطبع هذا التفسير فصدرت بعض اجزائه سنة ١٣٩٥ وصدر آخرها سنة ١٤١٢ فجاء في (١٦) جزءاً.

---

(١) البحر المحيط: ابو حيان جـ: ١ص: ١٠.

(٢) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية ص: ٩٠.

(٣) انظر التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٤٠.

٤ ـ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير:

مؤلفه: هو أبو الفداء عِمادُ الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ولد في بُصْرَى في الشام سنة ٧٠٠، طلب العلم في صغره ورحل في طلبه وقدم دمشق وله سبع سنين وتلقى العلوم عن كثير من علماء عصره. وكان له صلة وثيقة مميزة بابن تيمية ومناضلة عنه، واتّبَاع له في كثير من آرائه وكان يُفْتِي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك، وأوذي(١) وتوفي سنة (٧٧٤) رحمه الله تعالى.

ومن مؤلفاته البداية والنهاية، والإجتهاد في طلب الجهاد، وجامع المسانيد العشرة، والكواكب الدراري، وغير ذلك.

تفسيره: يُعَدُّ تفسير ابن كثير من أشهر ما دُوِّنَ في التفسير بالمأثور و يُعتبر في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري.

وطريقته في التفسير أنْ يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة، موجزة، ويجمع الآيات المناسبة لها، و يقارن بينها، وتفسيره أكثر كتب التفسير المعروفة سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد(٢).

ثم يورد الأحاديث المرفوعة التى لها صلة بالآية و يبين أحيانا ما يُحْتَج به منها وما لا يُحْتَج به، ثم يُردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف.

و يُرَجِّح بين الأقوال، و يُضَعِّف بعض الروايات، و يصحح أخَر و يُعَدِّل بعض الرواة، و يَجْرَح آخرين إذ أنه من أهل العلم بالحديث

---

(١) طبقات المفسرين: الداودي جـ: ١ص: ١١١.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٤٤.

والجرح والتعديل.

و ينبه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات إجمالاً أحياناً، و بالتفصيل حيناً آخر(١).

و بالجملة يُعَدُّ تفسيره ــ رحمه الله تعالى ــ من أفضل المؤلفات في التفسير، وقد طُبِعَ مرات كثيرة مع تفاسير أخرى، ومستقلاً في أربعة مجلدات كبار، واختصره عدد كبير من العلماء، منهم الأستاذ أحمد شاكر، ومحمد نسيب الرفاعي وغيرهما.

٥ ــ الدر المنثور: السيوطي:

مؤلفه: هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ولد سنة ٨٤٩ وتوفي سنة ٩١١ و بعد أنْ تلقَّى العلوم وحَصَّلَ منها حظاً وافراً انصرف إلى التأليف في وقت مبكر من حياته، ثم تجرد للتأليف في أواخر عمره فاعتزل الناس وترك وظائفه من تدريس وإفتاء.

وكثير من مؤلفاته ــ رحمه الله تعالى ــ جَمْعٌ أو تلخيص واختصار لمؤلفاته أو مؤلفات غيره.

ولا تكاد تجد علماً من العلوم الإسلامية أو في اللغة العربية أو التاريخ، إلا وله فيه كتاب هو من أهم المؤلفات فيها، وشهرة مؤلفاته تغني عن الإطالة في سردها.

تفسيره: ألَّف السيوطي ــ رحمه الله تعالى ــ كتابه (ترجمان القرآن) ثم أراد أنْ يختصره وعَلَّل هذا بقوله: «فلما ألفت كتاب (ترجمان القرآن)

---

(١) انظر التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٤٥.

وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وتَمّ بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات رأيت قصور أكثر الهِمَم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر مُصَدَّرا بالعَزوِ والتخريج إلى كل كتاب مُعتبر، وسميته بالدر المنثور في التفسير بالمأثور»(١).

وتفسير الدر المنثور مثل أغلب كتب السيوطي، قام على الجمع. فقد اكتفى فيه بسرد الروايات عن السلف دون تعقيب بتعديل أو تجريح أو تضعيف أو تصحيح، ولم يَتَحَرّ الصحة فيما جَمَعَ، وخلَطَ الصحيح بالضعيف(٢).

وطُبِعَ هذا التفسير في ستة مجلدات وهو بحاجة ماسه إلى عناية طلبة العلم، وخدمته بالتحقيق والتخريج والفهرسة والإخراج.

٢ ـ المؤلفات في التفسير بالرأي ومؤلفوها:

وهي أيضا مؤلفات كثيرة ومنها:

١ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري.

المؤلف: هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٣) المعتزلي الملقب

---

(١) الدر المنثور: السيوطي جـ: ١ص: ٢.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ١: ص: ٢٥٤.

(٣) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ٣١٤ـ٣١٦. وطبقات المفسرين: للسيوطي ص: ١٢٠ـ١٢١.

بجار الله، ولد سنة ٤٦٧ في زَمَخْشَر من قرى خوارزم، بعد أن تلقى العلم، رحل إلى مكة وألَّفَ فيها تفسيره الكشاف، ثم عاد إلى جرجانية خوارزم، وتوفي فيها سنة ٥٣٨ وهو إمام من أئمة اللغة البارزين فيها حنفي المذهب، معتزلي الإعتقاد، لا يأنف من إنتمائه إلى الإعتزال، بل يجاهر به، و يدعو إليه، ومن مؤلفاته (أساس البلاغة) (الفائق في غريب الحديث) و(المفصل) في النحو (المقامات) و(ربيع الأبرار ونصوص الأخبار) و(الأحاجي النحوية) وغيرها.

تفســـيره:

اعتنى الزمخشري في تفسيره هذا ببيان وجوه الإعجاز القرآني وإظهار جمال النظم و بلاغته وتميّز بذلك حتى كان مرجعاً في ذلك. وخلا هذا التفسير من الحشو والتطويل، وإيراد الاسرائيليات إلا القليل.

والزمخشري قليل الاستشهاد بالأحاديث ويورد أحياناً الأحاديث الموضوعة، خاصة في فضائل السور.

وملأ تفسيره بعقائد المعتزله والاستدلال لها وتأويل الآيات وفقها، و يدس ذلك دَسَّاً لا يُدركه إلا حاذق حتى قال البلقيني «استخرجت من الكشاف إعتزالا بالمناقيش»(١).

وهو شديدٌ على أهل السنة والجماعة و يذكرهم بعبارات الإحتقار و يرميهم بالأوصاف المُقْذِعة، ويمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء(٢).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي جـ: ٢ص: ١٩٠.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٤٦٥.

ولهـذه الأمـور وغيرها نَبَّه كثير من العلماء إلى أخذ الحيطة والحذر عند المُطالعة في تفسيره أو النقل منه، فقال الذهبي «محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله فكن حذراً من كشافه»(١) مع أني أرى جواز النظر فيه لمن رسخت قدمه في السنة كما قال ابن حجر وابن خلدون رحمهما الله تعالى.

٢ ـ مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي:

المؤلـف: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين(٢)، ولد في الرَّيّ سنة ٥٤٤ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ جمع كثيراً من العلوم فكان إماماً في التفسير، وعلوم الكلام، والعلوم العقلية، والمنطق، والفلسفة واشتهر بذلك وفاق فلاسفة عصره، وكان طبيباً حاذقاً، وقد ندم على الاشتغال بعلم الكلام وكان يقول: ليتني لم اشتغل بعلم الكلام. ثم يبكي(٣). و يقول: لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلا، ولا تشفي عليلا، ورأيت أصَحَّ الطرق طريقة القرآن(٣).

ومن مؤلفاته: مفاتيح الغيب، والمحصول في علم الأصول، درة التنزيل وغرة التأو يل، والأ ربعين في أصول الدين، وعصْمَة الأنبياء ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ومسائل الطب وغير ذلك.

التفسير: أَلَّفَ الرازي كتابين في التفسير: الأ ول: التفسير الكبير

---

(١) ميزان الاعتدال: الذهبي جـ٥: ص:٢٠٣.

(٢) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ٢١٣ــ٢١٧. وطبقات المفسرين للسيوطي ص: ١١٥ــ١١٦.

(٣) طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ٢١٥.

وسَمَّاه (مفاتيح الغيب)، والثاني التفسير الصغير وسماه (أسرار التنزيل وأنوار التأويل)(١).

و يُعَدُّ تفسيره (مفاتيح الغيب) أوسع التفاسير في علم الكلام، فقد تأثر كثيرا بالعلوم العقلية فتوسع فيها وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والمسائل الطبية، وملأ تفسيره بهذه العلوم حتى قيل عنه (فيه كل شيء الا التفسير)(٢).

ولم يتم الرازي تفسيره هذا، بل قيل انه بلغ في التفسير إلى سورة الأنبياء، ثم جاء تلميذه الخُوَيِّي فشرع في تكملته ولم يتمه، وأتمه نجم الدين القَمُولي، وقيل ان الخُوَيِّي أكمله، وكتب القَمُولي تكملة أخرى غيرها، ولا يكاد القارىء يلحظ تفاوتاً بين أساليبهم(٣).

وقد طبع هذا التفسير في ٣٢ جزءاً وتقع في ١٦ مجلداً كبيراً.

٣ ـ البحر المحيط: أبو حيان:

المؤلف: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان(٤)، ولد في إحدى قرى غرناطة سنة ٦٥٤ وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٥.

قال عنه الداودي «نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه،

---

(١) التفسير الكبير: الرازي جـ: ١ص: (هـ) مقدمة الناشر.
(٢) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي جـ: ٢ص: ٢٩٠.
(٣) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٢٩٣.
(٤) انظر ترجمته في طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ٢٨٦ــ٢٩٠.

ومؤرخه، وأديبه»(١).

ومن مؤلفاته (النَهَرُ المَادُّ من البحر) (تُحفةُ الأ رِيبِ بما في القرآن من الغريب) وغير ذلك.

التفسير: هو (البحر المحيط) طبع في ثمانية مجلدات كبار، توسع فيه أبو حيان في الإعراب والمسائل النحوية وذكر الخلاف بين النحويين، والمعاني اللغوية للمفردات واستعمالاتها، وتوجيه القراءات نحوياً وبالبلاغة ووجوهها حتى صار تفسيره أقرب إلى كتب النحو.

وهو مع ذلك لم يُهْمِل نواحي التفسير الأخرى، فهويُورد أسباب النزول والقراءات، والناسخ والمنسوخ ولا يُهمل الأحكام الفقهية للآيات(٢).

٤ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود العمادي.

المؤلف: هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العِمَادي(٣) ولد في إحدى قرى القسطنطينية سنة ٨٩٣ وتوفي فيها سنة ٩٨٢ تَوَلَّى القضاء والتدريس والفتوى مما أشغله عن الإكثار من التأليف.

تفسيره: اعتمد أبو السعود في تفسيره هذا على تفسير (الكشاف) للزمخشري و(أنوار التنزيل) للبيضاوي، إلا أنه لم يَغْتَرّ بما جاء في الكشاف من الإعتزاليات فلم يذكرها إلا للتحذير منها، وإن كان وقع

---

(١) طبقات المفسرين: الداودي جـ: ٢ص: ٢٨٦.

(٢) التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٣١٨.

(٣) انظر ترجمته في (العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم) المطبوع مع كتاب (الشقائق النعمانية) لطاش كبرى زاده من ص٤٣٩ الى ص٤٥٤.

فيما وقع فيه من ذِكر الأحاديث الموضوعة في فضائل السور.

وتَمَيَّز هذا التفسير بالعناية ببيان وجوه البلاغة في القرآن الكريم وإظهار دقائق المعاني في التراكيب القرآنية، مع عناية ببيان المناسبات بين الآيات وهو مُقِلٌّ من رواية الإسرائيليات ومن المباحث الفقهية(١).

وطبع هذا التفسير في أربعة مجلدات كبار.

٥ ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي.

المؤلف: هو أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الألوسي(٢)، ولد في الكَرْخ من بغداد سنة ١٢١٧ نبغ في كثير من العلوم حتى صار عَلاّمة القطر العراقي، وتوفي في بغداد سنة ١٢٧٠ وله عدد من المؤلفات.

التفسير: التزم الألوسي رحمه الله تعالى في تفسيره مذهب أهل السنة وكان كثيراً ما يرد آراء المعتزلة و يُفنِّدها، و يَكِرّ على أقوال الشيعة و يُبطلها واستطرد في تفسيره إلى العلوم الكونية، والفلكية، وتوسَّع في المسائل النحوية، و يستوفي مذاهب الفقهاء في آيات الأحكام وأدلتهم، و ينقد القصص الإسرائيليات و يعيب إيرادها في التفسير.

وتَميَّز تفسير الألوسي بالتفسير الإشاري(٣) والإكثار منه حتى عَدَّ بعضُ العلماء تفسيره من المؤلفات في التفسير الإشاري، كما أنَّ الألوسي يذكر القراءات في الآية، ولا يتقيد بالمتواتر منها، و يعتني بإظهار

---

(١) انظر التفسير والمفسرون: الذهبي جـ: ١ص: ٣٤٧ــ٣٥٢.

(٢) انظر ترجمته في (أعيان القرن الثالث عشر): خليل مردم بك ص٤٧ــ٥٢.

(٣) وهو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى إشارات خَفيّة تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمع بينها و بين الظاهر المراد ايضا.

ثم توفي وطبع هذا التفسير في إثني عشر مجلدا، وقد قام الأستاذ محمد بهجت البيطار بتفسير بقية سورة يوسف، وضمّ تفسير السورة بعضه إلى بعض وأصدره في كتيب مستقل بعنوان «تفسير سورة يوسف عليه السلام» وطبع سنة ١٣٥٥هـ.

ونستطيع أن نُقسّم هذا التفسير إلى قسمين: القسم الأول الذي كتبه قبل وفاة شيخه محمد عبده، والقسم الثاني الذي كتبه بعد وفاته، أمّا القسم الاول فيتصف بقِلّة التفسير بالمأثور وظهور التفسير بالرأي، والتحكيم العقلي، وبيان سنن الله تعالى في المجتمعات، والإصلاح الاجتماعي.

اما القسم الثاني فظهرت فيه عناية الأستاذ رشيد بالتفسير بالمأثور وكثرة الاستشهاد والاستدلال بالأحاديث، ولهذا قال رحمه الله تعالى «هذا وإني لمّا استقللت بالعمل بعد وفاته خالَفتُ منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها»(١).

٣ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المَنَّان: لابن سعدي.

المؤلف: هو عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي(٢) ولد في عُنيزة في القصيم سنة ١٣٠٧ توفي والداه وهو صبي فكفلته زوجة أبيه وكانت تقدمه على اولادها وادخلته مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه في الرابعة عشرة من عمره، واشتغل في طلب العلم فقرأ الكتب وحفظ المتون ثم تصدى للتعليم ونشر العلم حتى ذاع صيته.

---

(١) تفسير المنار: رشيد رضا جـ١: ص: ١٦.

(٢) انظر ترجمته في كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم تأليف عبد اللطيف آل الشيخ.

ومن مؤلفاته (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) وهو خلاصة لهذا التفسير، ومنها (القواعد الحسان لتفسير القرآن) ومنها (المواهب الربَّانية من الآيات القرآنية) ومنها (التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة) و(الفواكه الشهية في الخطب المنبرية) و(الفتاوى السعدية) وغير ذلك. وتوفي رحمه الله تعالى في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ.

التفسير:

و يقع هذا التفسير في سبعة مجلدات، ومع هذا فهو تفسير يميل إلى الإيجاز مع وضوح المعنى، و يعتمد المعنى الإجمالي للآيات حيث يورد مجموعة من الآيات ثم يفسرها آية آية وقد يتحدث عنها إجمالاً ثم تفصيلا موجزا، و يعتني بمعاني الأسماء والصفات، ومناسبة التذييل بها في كثير من الآيات، وكثيراً ما يبين الحِكَم والأسرار في بعض الأحكام الشرعية، و يُعرِضُ عن الإسرائيليات، و يستطرد أحيانا في ذكر فوائد الآيات وما تدل عليه من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية.

٤ ــ في ظلال القرآن: سيد قطب

المؤلف: هو سيد بن الحاج قطب بن ابراهيم(١) ولد سنة ١٩٠٦م تخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٣٣م فزاول مهنة التدريس سنوات، ثم موظفاً في وزارة المعارف، ثم أوفد إلى أمريكا للإطلاع على مناهج التعليم فيها لتطبيقها في مصر وكان القصد من إيفاده التخلص من نشاطه في الدعوة، وعاد من أمريكا وقد زاد حماسُه ونشاطه للدعوة، حيث انضم إلى

(١) صدر عن سيد قطب رحمه الله تعالى عدد كبير من المؤلفات من أهمها: (سيد قطب الشهيد الحي) للاستاذ صلاح الخالدي.

جماعة الاخوان المسلمين وكان يردد (لقد ولدت عام ١٩٥١) وهو عام انضمامه إليهم.

وحين وقع الصدام بين الأخوان وقادة ثورة يوليو في مصر كان سيد في مقدمة المعتلقين، وحُكِمَ عليه بالسجن خمسة عشر عاما ألَّف خلالها في السجن تفسيره (في ظلال القرآن) وكان هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن حيث قرأه الرئيس العراقي عبد السلام عارف فتوسط عند جمال عبد الناصر لإخراجه بطلب من علماء العراق، وأفرج عنه سنة ١٩٦٤م فواصل مسيرة الدعوة فأعيد إلى السجن وصدر ضده حكم بالإعدام ونُفِّذ الحكم سنة ١٩٦٦م رغم نداءات العالم الإسلامي واحتجاجاتهم، وقد طُلب من سيِّد أن يكتب اعتذاراً من جمال عبد الناصر ووعدوه بالعفو إن فعل فرفض وقال «إنَّ أصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً يُقرّ به حُكْمَ طاغية». وقال حين طلب منه الاعتذار «لن اعتذر عن العمل مع الله» وقال «لماذا استرحم؟ إن سُجنت بحق فأنا أرضى حُكم الحق وإن سجنت بباطل فأنا أكبر من أن استرحم الباطل».

وله مؤلفات كثيرة منها: «معالم في الطريق» وهو من أهم كتبه ومن أسباب إعدامه ومنها «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» و«المستقبل لهذا الدين» وغير ذلك.

التفسير:

والكتاب وصف أدبي متميز للحياة كما يرسمها القرآن الكريم، وهو منهج لم يُسْبَق إليه سيد من قبل فمنهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم، والتفاعل مع المجتمع الذي ترسمه الآيات، ومطابقته مع

المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح ورسم مسار الدعوة والعودة، ثم دراسة الإيقاع الصوتي، والجرس اللفظي للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب منهج لم يَسْبق له مثيل في علم التفسير.

أمَّا طريقته في ذلك فخلاصتها أنَّه يُقَدِّم لكل سورة بمقدمة يبين فيها موضوع السورة ومحورها وأهمّ سِماتِها، ثم يعرض لمقاطعها و يربط بينها ببيان المناسبة وهكذا.. مع الإعراض عن المباحث اللغوية والنحوية وذكر الخلافات الفقهية وتاركاً الخوض فيما أبهمه القرآن مهملا للإسرائيليات.

وطبع التفسير مرات عديدة آخرها وأشهرها في ستة مجلدات كبار.

٥ ــ أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي

المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي(١). ولد رحمه الله تعالى في (تنبه) في شنقيط وهي دولة موريتانيا الاسلامية الآن سنة ١٣٢٥هـ.

تلقى العلوم الشرعية واللغة العربية ودرس الأدب دراسة واسعة ودرس الفقه المالكي، ونبغ فيه وحين أدَّى الحجَّ اتصل بعلماء المملكة فأعجب بهم وعزم على البقاء في هذه البلاد فأذن له الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى بالتدريس في المسجد النبوي، ثم انتقل إلى الرياض للتدريس في المعاهد العلمية، ثم كلية الشريعة، وحين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة عُيِّن مُدرساً فيها، كما كان أستاذاً زائراً في المعهد العالي للقضاء بالرياض، وعُيِّن عضوا في هيئة كبار العلماء وعضوا في المجلس التأسيسي

(١) ترجم له تلميذه الشيخ عطية سالم في آخر تفسير الشيخ الشنقيطي.

لرابطة العالم الإسلامي، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٣هـ بمكة.

وله مؤلفات كثيرة منها (منع جواز المجاز في المُنزَّل للتعبد والإعجاز). و(دفع إيهام الإضطراب عن آي الكتاب) و(آداب البحث والمناظرة) وغير ذلك.

التفسير: وصل المؤلف رحمه الله تعالى في تفسيره هذا إلى آخر سورة المجادلة، ثم أكمل التفسير من بعده تلميذه عطية محمد سالم وصدر التفسير في عشرة مجلدات.

تميز هذا التفسير بميزتين (إحداهما) تفسير القرآن بالقرآن، وقد التزم أن لا يُبيِّن القرآن إلا بقراءة سَبْعِية ولم يعتمد البيان بالقراءات الشاذَّة (والثانية) بيان الأحكام الفقهية ودقة الاستنباط، وحسن التفصيل وقوة الاستدلال.

كما تضمن هذا التفسير تحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب، وتحقيق بعض المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد الأحاديث.

و يُعَدُّ هذا التفسير بحق من خير المؤلفات في التفسير قديماً وحديثاً ومن أتْبَعِها للسُنة وأبعدها عن البدعة، والقارىء فيه يجد رائحة علماء السلف ونقاء سريرتهم، وصفاء عقيدتهم، ودقة استنباطهم، وسعة علمهم، رحم الله مؤلفه رحمة واسعة.

ثانيا: المؤلفات في دراسات التفسير ومناهجه:

وهي مؤلفات كثيرة عديدة سنذكر بعضها إجمالا، ثم نُعَرِّف بعدد قليل منها، فمنها إجمالا:

١ ــ التيسير في قواعد علم التفسير: تأليف: محمد بن سليمان الكافيجي المتوفى سنة ٨٧٩ دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد المطرودي.

٢ ــ الفوز الكبير في أصول التفسير: تأليف أحمد بن عبد الرحيم العمري الدَّهلوي المتوفى سنة ١١٧٦.

٣ ــ مذاهب التفسير الإسلامي: للمستشرق جولد تسهر ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار.

٤ ــ اتجاه التفسير في العصر الحديث: للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير رحمه الله تعالى.

٥ ــ نشأة التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية: الدكتور محمود بسيوني فوده.

٦ ــ الاتجاهات السُنيَّة والمعتزلية في تأويل القرآن: د. التهامي نفرة.

٧ ــ المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات: للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي (في مجلدين).

٨ ــ مناهج في التفسير: د. مصطفى الصاوي الجويني.

٩ ــ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: د. محمد إبراهيم الشريف.

١٠ــ أصول التفسير وقواعده: الشيخ خالد عبد الرحمن العك.

١١ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري: فهد بن عبد الرحمن الرومي (٣ مجلدات).

والمؤلفات غير هذه كثيرة وسنُعَرِّف بمؤلفات أخرى هي:

١ ـ الإكسير في علم التفسير: الطُّوفي.

ومؤلفه سليمان بن عبد القوي الصرصري الطُّوفي[١]، ولد بقرية طُوفى من أعمال صرصر من سواد بغداد سنة ٦٥٧هـ كان فقيهاً وشاعراً وأديباً وله مصنفات كثيرة منها (جدل القرآن) و(بغية الواصل في معرفة الفواصل) وغير ذلك.

أمّا كتابة (الإكسير في علم التفسير) فطبع في جزء واحد، حققه الدكتور عبد القادر حسين واشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة أقسام أمّا المقدمة فبيان موجز لمعنى التفسير والتأويل. وأمّا القسم الأول فقسّم فيه الكلام إلى قسمين قسم مُتَّضح اللفظ والمعنى لا حاجة له الى تفسير، وقسم يحتاج إلى تفسير لعدم الإيضاح في لفظه ومعناه. وفي القسم الثاني بيَّن المؤلف ما ينبغي للمفسر النظر فيه من العلوم التي اشتمل عليها القرآن، وإذا عَلِمنا أنَّ الحديث عن المقدمة والقسمين السابقين كان في (٢٨) صفحة وبقية الكتاب كله عن القسم الثالث، علمنا أنَّ هذا القسم هو محور الكتاب ولُبّه، وتحدث فيه طويلا عن علمي المعاني والبيان لكونهما ـ كما يقول ـ من أنفس علوم القرآن، وجاء ذلك في أكثر من ثلاث مئة صفحة، وقد أشار إلى أنه اختصر هذا القسم من كتاب ابن الاثير الجزري (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور)[٢].

---

(١) انظر ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب جـ٢ ص٣٦٧ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر جـ: ٢ص: ٢٤٩.

(٢) طبع هذا الكتاب المجمع العلمي العراقي بتحقيق د. مصطفى جواد ود. جميل سعيد.

٢ ـ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيميــة

المؤلــف: أحمد بن عبد الحليم الحَرَّاني الدمشقي. أبو العباس تقي الدين ابن تيمية. ولد في حَرَّان سنة ٦٦١ وهو أشهر من أن يُعرَّف، طار صيته وعلت سمعته، واشتهر في الآفاق بعلمه وجهاده، سُجن وأوذي، فصبر واحتسب ومات معتقلا في السجن بدمشق سنة ٧٢٨.

وله مؤلفات عديدة جمع الشيخ عبد الرحمن القاسم وابنه محمد بعضها في خمسة وثلاثين مجلدا ووضعا لها فهارس في مجلدين، ومن كتبه درء تعارض العقل والنقل في أحد عشر مجلدا تحقيق د. محمد رشاد سالم ومنها (منهاج السنة النبوية) في تسعة مجلدات بتحقيق محمد رشاد سالم ايضا، ومنها (الصارم المسلول على شاتم الرسول) ومنها (إقتضاء الصراط المستقيم) ومنها (الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح) ومنها (الرسالة التدمرية) و(العقيدة الواسطية) و(الإيمان) و(بُغيَةُ المُرتاد) وغير ذلك كثير.

أمَّا كتابه (مقدمة في أصول التفسير) فترجع تسميته بهذا الإسم إلى قوله في المقدمة (فقد سألني بعض الأخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه)(١).

ولذلك وَضَع بعض المتأخرين هذا العنوان لها. ومن العبارة السالفه نعرف موضوع هذه المقدمة، وهي من أهم ما كتب في هذا الموضوع وقسَّم الحديث فيها إلى خمسة فصول، بيَّن في (الفصل الاول) أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيَّن لهم ألفاظه، وتحدَّث في

(١) مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د. عدنان زرزور ص: ٣٣.

(الفصل الثاني) عن الخلاف الواقع بين السلف في التفسير، وفي (الفصل الثالث) تحدَّث عن الاختلاف في التفسير من حيث المستند. واقتصر في هذا الفصل على الحديث عن النوع الاول منه وهو ما مستنده النقل وتحدث في (الفصل الرابع) عن النوع الثاني وهو ما مستنده الاستدلال بغير النقل وهذا النوع حدث بعد الصحابة والتابعين والذين وقعوا فيه قومان (قوم) اعتقدوا معاني ثم حَمَلوا ألفاظ القرآن عليها، و(قوم) فسَّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يُريدَه العربي بكلامه من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمُنزَّل عليه والمخاطب به، فالأولون راعوا المعنى والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وفي (الفصل الخامس) تحدث عن أفضل طرق التفسير، وختم المقدمة بالحديث عن تفسير القرآن بمجرد الرأي.

وهذه المقدمة من أنفس ما أُلِّف في موضوعها ولا تزال منهلاً يَنهَلُ منه العلماء.

٣ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن: لابن سعدي

وقد سبق التعريف بمؤلفه رحمه الله تعالى.

أمَّا الكتاب فقد عَرَّف به مؤلفه رحمه الله تعالى في المقدمة حيث قال «فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم، جليلة المقدار، عظيمة النفع، تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله، والإهتداء به، ومَخْبَرُها أجَلُّ من وَصْفِها، فإنها تفتح للعبد من طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة»(١).

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن السعدي ص: ٣.

وقد ذكر رحمه الله تعالى سبعين قاعدة وضَرَب الأمثلة لكل قاعدة منها فجاء كتابه في أربع ومائتين من الصفحات، وطبع سنة ١٣٦٦هـ بتصحيح محمد حامد الفقي.

٤ ــ بدع التفاسير: عبد الله محمد الصديق الغِمَاري:

المؤلف: هو أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغِمَاري ولد في طنجه في المغرب سنة ١٣١٧هـ ودرس فيها، ثم سافر إلى مصر سنة ١٣٤٩هـ ودرس على علمائها وتقدم سنة ١٣٥٠هـ لامتحان شهادة العالمية من جامعة الأزهر فحصل عليها وهو فقيه مُحدِّث صوفي على الطريقة الشاذلية(١)، شديد الحملة على ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وله عدد من المؤلفات منها (إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان) و(عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام) و(جواهر البيان في تناسب سور القرآن) و(الكنز الثمين في حديث النبي الأمين) وغير ذلك.

أمَّا الكتاب فيقع في (١٨٨) صفحة قال مؤلفه في تعريفه: «أمَّا بعد فهذا مؤلف عجيب، ليس له في بابه ضريب، تضمَّن التنبيه على بعض التفاسير المخطئة، وقد تكون أحيانا خاطئة، يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه، لِنُبُوِّ لفظه عنها، أو مخالفتها لِمَا تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسُنَّة أو نحو ذلك وسميته (بدع التفاسير)(١).

---

(١) بدع التفاسير: عبد الله الغماري ص: ٤. وقد ترجم لنفسه ترجمة مطولة في آخر الكتاب، ومنها أخذنا هذا التعريف به.

وذكر في خاتمة كتابه وجوهاً أخرى لِعدِّها من بِدَع التفاسير فقال: (عَلِمْتَ مما عرضناه من نماذج «بدع التفاسير» أنّها لا تخلو من أن تكون مخالفة للفظ الآية، أو منافية لإعرابها أو منافرة لسياق الكلام، أو غير متلاقيه مع سبب النزول، أو مُصَادِمَة للدّليل، ومن ثَمَّ كانت بدعيَّتها)(١).

وقد جرى المؤلف على أن يذكر اسم السورة ثم يذكر بدع التفسير في بعض آياتها وهكذا في كثير من سور القرآن الكريم.

وتكلم في الخاتمة عن التفسير الإشاري الذي يسلكه الصوفية في تفاسيرهم ثم عَرَّفَ بعدد من التفاسير المشهورة المُتداولة وتبلغ إثنين وثلاثين تفسيراً، ثم ترجم لنفسه في آخر كتابه.

وهو ينقل بعض هذه البدع من الزمخشري، كما ينقل رَدَّ الزمخشري عليها، وأحيانا يَصِفُ تفسير الزمخشري وأمثاله من مفسري المعتزلة بالبدعة وكذا ما ينقله من تفسير الرافضة وغيرهم.

والطريف أنَّ تفسيره هو وردوده على أهل البدع لا يخلو من البدع.

٥ ــ التفسير والمفسرون: للذهبي(٢).

المؤلف: هو الشيخ محمد حسين الذهبي ولد في قرية مطوبس في مصر سنة ١٣٣٣ حصل على شهادة العالمية من الأزهر سنة ١٣٦٥هـ وكان البحث الذي تقدم به للحصول على هذه الدرجة هو كتابه (التفسير

---

(١) بدع التفاسير: عبد الله الغماري ص: ١٤٩.
(٢) انظر ترجمته في كتاب (من الدراسات القرآنية المعاصرة في علوم القرآن) عبد الله القرني ص٢٢٥.

والمفسرون) عمل مدرسا في مصر والسعودية وفي الكويت وفي العراق وعُيِّن وزيراً للأوقاف المصرية أغتيل رحمه الله تعالى في يوليو سنة ١٩٧٧م.

ومن مؤلفاته رسالة بعنوان (الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم) و(الإسرائيليات في التفسير والحديث) و(أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع).

أمَّا كتابه (التفسير والمفسرون) فهو موسوعة شاملة في تاريخ التفسير منذ نشأته إلى العصر الحديث وقد عَرَّف به مؤلفُه رحمه الله تعالى في مقدمته فقال: «هو كتاب يبحث عن نشأة التفسير وتطوره، وعن مناهج المفسرين وطرائقهم في شرح كتاب الله تعالى وعن ألوان التفسير عند أشهر طوائف المسلمين ومن ينتسبون إلى الإسلام وعن ألوان التفسير في هذا العصر الحديث وراعيت أن أضمِّن هذا الكتاب بعض البحوث التى تدور حول التفسير: من تطرُّقِ الوضع إليه، ودخول الإسرائيليات عليه وما يجب أن يكون عليه المفسر عندما يحاول فهم القرآن أو كتابة التفسير»(١).

وقد طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء سنة ١٣٨١هـ، ثم نشرته إحدى دور النشر في لبنان فدَمَجت الجُزئين الثاني والثالث في مجلد واحد فصار الكتاب كلُّه في مجلدين، و بعد موته رحمه الله عثرت أسرته بين أوراقه على كراستين بخطه عبارة عن نقول أعدَّها في الفترة من ١٩٦٠ــ١٩٦٣م أثناء عمله أستاذاً بكلية الشريعة ببغداد، قال مُعِدها للنشر «يبدو أنَّه ــ رحمه الله ــ كان يُمَهِّد بهذه النقول للتعليق عليها لتكون إضافة جديدة إلى بحثه الشامل عن (التفسير والمفسرون) عند الشيعة الإثنى عشريه

(١) التفسير والمفسرون: للذهبي جـ: ١ص: ٩.

والإسماعيلية ولكنَّ قضاء الله سبق، فلم يتيسر له ذلك»(١).

وقد نشرت مكتبة وهبة في القاهرة هاتين الكراستين بعد وضع مقدمة لها بنقل ما كتبه ابن حزم عن الشيعة، وما كتبه عنهم الشهرستاني، ثم نقل ما كتبه الذهبي نفسه عن الشيعة وموقفها من التفسير في الجزء الثاني من كتابه (التفسير والمفسرون)(٢) وقُدِّمَت هذه النقول الطويلة كتمهيد بين يَدي الكراستين فجاءت النقول في نحو ١٣٦ صفحة.

والكتاب بأجزائه الأولى لا يكاد يستغنى عنه الباحث في علم التفسير. والله الهادى إلى سواء السبيل،،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) المرجع السابق: جـ: ٣ص: ٣.

(٢) المرجع السابق: جـ: ٣ص: ٤.

المصادر والمراجع

١ ــ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢ ــ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، الطبعة الثانية، ١٣٤٣هـ، المطبعة الأزهرية بمصر، والطبعة الثالثة، ١٣٧٠هـ مصطفى البابي الحلبي.

٣ ــ الأحكام في أصول الاحكام: ابو الحسن علي الآمدي تعليق عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الاولى، مؤسسة النور بالرياض.

٤ ــ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ.

٥ ــ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ملا علي القاري: تحقيق محمد الصباغ، ١٣٩١.

٦ ــ الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني مصورة عن الطبعة الأولى مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ.

٧ ــ أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٨ ــ أعيان القرن الثالث عشر: خليل مردم بك الطبعة الثانية، ١٩٧٧م مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩ ــ الإكسير في علم التفسير: سليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي، تحقيق د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ــ القاهرة.

١٠ــ الإكليل في المتشابه والتأويل: ابن تيميه، مكتبة أنصار السنة المحمدية ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٦٦هـ.

١١ــ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٢ــ بدع التفاسير: عبد الله محمد الصديق الغماري: دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء ــ الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٣ــ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

١٤ ـ بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر.
١٥ ـ تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤ م، دار المعارف بمصر.
١٦ ـ تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية المدينة المنورة.
١٧ ـ تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر): عبد الرحمن بن خلدون مؤسسة الأعلمي، بيروت.
١٨ ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ.
١٩ ـ التبيان في آداب حملة القرآن: يحي بن شرف الدين النووي، تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد الطائف ـ الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
٢٠ ـ تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، مجلس إدارة المعارف العثمانية ـ حيدرآباد ـ الدكن ـ الهند، ١٣٧٥ هـ، الطبعة الثالثة.
٢١ ـ التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي تحقيق محمد اليونسي وإبراهيم عوض ـ دار الكتب الحديثة، مصر.
٢٢ ـ التعريفات: السيد الشريف الجرجاني، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، وأولاده، بمصر ١٣٥٧ هـ.
٢٣ ـ تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن، دار الفكر، بيروت.
٢٥ ـ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) مكتبة النهضة الحديثة بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ.
٢٦ ـ تفسير مجاهد: قدم له وحققه عبد الرحمن الطاهر السورتي ـ المنشورات العلمية ـ بيروت.
٢٧ ـ التفسير معالم حياته ـ منهجه اليوم: أمين الخولي، جماعة الكتاب ١٩٤٤ م، وطبعة دار الكتاب اللبناني الأولى، ١٩٨٢ م.
٢٨ ـ التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى،

١٣٨١ هـ، والجزء الثالث مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
٢٩ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا، الطبعة الرابعة، دار المنار بمصر ١٣٧٣ هـ.
٣٠ ـ التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل: حامد العمادي (مخطوطة مصورة في مكتبة الحرم المدني).
٣١ ـ تقييد العلم: البغدادي، الطبعة الثانية، تحقيق يوسف العش، دار احياء السنة النبوية، بيروت، ١٣٩٥ هـ.
٣٢ ـ تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، ١٣٢٥ هـ.
٣٣ ـ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد الحليم النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٣٤ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق وتخريج محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر.
٣٥ ـ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد القرطبي أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٦٥ م.
٣٦ ـ الجامع الصحيح: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٧ ـ الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار دار الكتاب العربي ـ بيروت، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٦ هـ.
٣٧ ـ خصائص القرآن الكريم: فهد بن عبد الرحمن الرومي، دار طيبة، الرياض الطبعة السابعة، ١٤١١ هـ.
٣٨ ـ خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: د. محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الثاني والأربعون، شوال، ١٣٩١ هـ.
٣٩ ـ درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
٤٠ ـ دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: د. أحمد جمال العمري مكتبة الخانجي ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
٤١ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة ـ مصر.

٤٢ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، الناشر: محمد أمين دمج ــ بيروت، مؤسسة الرسالة.

٤٣ـ الذيل على طبقات الحنابلة: ابن رجب ــ دار المعرفة ــ بيروت.

٤٤ـ سنن الدار قطني، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ عالم الكتب، بيروت.

٤٥ـ السنن الكبرى: ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، الطبعة الاولى، ١٣٤٤هـ.

٤٦ـ سير اعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، اشرف على التحقيق شعيب الأ رناؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٧ـ شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٢١هـ.

٤٨ـ شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن ابي العز، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ، بتحقيق جماعة من العلماء.

٤٩ـ شرح الكوكب المنير: تقي الدين محمد بن شهاب الدين الفتوحي، المعهد العلمي السعودي بالرياض ــ تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الاولى ١٣٧٢هـ، مطبعة السنة المحمدية.

٥٠ـ صحيح البخاري: المكتبة الإسلامية، استنبول، تركيا، ١٩٧٩م.

٥١ـ صحيح مسلم: تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ــ الرياض ١٤٠٠هـ.

٥٢ـ الطبقات الكبرى: ابو عبد الله محمد بن سعد مطبعة بريل ١٣٣٢هـ ليدن وطبعة دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ.

٥٣ـ طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبه الطبعة الاولى.

٥٤ـ طبقات المفسرين: شمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبلة وهبه، الطبعة الاولى.

٥٥ـ العقد المنظوم في ذكر افاضل الروم: علي بن لالي بالي، المطبعة الميمنية ــ مصرـ ١٣١٠هـ.

٥٦ـ الفكر الديني في مواجهة العصر: عفت الشرقاوي، مكتبة الشباب بمصر.
٥٧ـ فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت: عبد العلي محمد بن نظام الدين، بهامش كتاب المستصفى للغزالي، مصورة عن الطبعة الاولى بالمطبعة الاميرية ببولاق، مصر ١٣٢٢، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.
٥٨ـ في ظلال القرآن: سيد قطب، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ دار الشروق بيروت ــ القاهرة.
٥٩ـ القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي مؤسسة الحلبي وشركاه ــ القاهرة.
٦٠ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين القاسمي تحقيق محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ دار احياء الكتب العربية ــ القاهرة.
٦١ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي تصحيح محمد حامد الفقي، مطبعة انصار السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٦هـ.
٦٢ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع: ابو محمد مكي بن ابي طالب تحقيق د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ــ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٦٣ـ لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.
٦٤ـ لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.
٦٥ـ لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): علاء الدين على ابن محمد البغدادي، المعروف بالخازن ــ دار الفكر.
٦٦ـ مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم، دار القلم ــ دمشق الطبعة الاولى، ١٤١٠هـ.
٦٧ـ مجموع فتاوي ابن تيمية: جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ــ مطابع الرياض ــ الطبعة الاولى، ١٣٨١هـ.
٦٨ـ مذاهب التفسير الاسلامي: اجنتس جولد تسهر، ترجمة د. عبد الحليم النجار دار اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٩ـ مسند الامام احمد بن حنبل: المكتب الاسلامي، دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ، وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٣هـ، الطبعة الرابعة بتحقيق وتخريج احمد محمد شاكر.

٧٠ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الطبعة الاولى، ١٣٩٢هـ.

٧١ـ مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي: تحقيق محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ بيروت.

٧٢ـ المعجم الكبير: الطبراني تحقيق وتخريج حمدي السلفي، الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ والطبعة الثانية وزارة الاوقاف العراقية.

٧٣ـ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) الفخر الرازي الطبعة الثالثة دار احياء التراث العربي، بيروت.

٧٤ـ مقدمة في اصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم ـ الكويت، الطبعة الاولى، ١٣٩١هـ.

٧٥ـ المكتفى في الوقف والابتداء: ابو عمرو الداني، تحقيق د. يوسف المرعشلي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٤هـ.

٧٦ـ مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم آل جعفر، د. محي هلال السرحان، وزارة التعليم العالي، العراق، الطبعة الاولى، ١٩٨٠م.

٧٧ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة.

٧٨ـ المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم: د. كامل سعفان، الطبعة الاولى ١٩٨١م، مكتبة الانجلو المصرية.

٧٩ـ الموافقات في اصول الشريعة: ابو اسحاق الشاطبي، بشرح عبد الله دراز وترقيم محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

٨٠ـ الموطأ: الامام مالك بن انس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٠هـ.

٨١ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ابوعبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٣٨٢ وطبعة دار الفكر العربي.

٨٣ـ النبأ العظيم: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٨٣ـ نواسخ القرآن: ابن الجوزي، تحقيق محمد اشرف الملباري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الاولى، ١٤٠٤هـ.

٨٤ـ وفيات الاعيان: ابن خلكان، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.

المجلات:

١ ـ مجلة اصول الدين ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ العدد الثاني.

دليـــل المحتـــويـــات

الموضوع — الصفحة

المقدمــة ٥

اولا: تعريف التفسير و بيان مكانته وفضله:

(أ) تعريفه لغة واصطلاحا ٧

(ب) الفرق بينه و بين التأويل ٨

(ج) تعريف أصول التفسير ١١

غايتــه ١٢

فائدتــه ١٢

موضوعــه ١٣

(د) فضل هذا العلم ومكانته ١٣

ثانيا: نشأة علم التفسير ومراحله:

(أ) التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ١٤

مقدار ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم ١٥

منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير ١٩

(ب) التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ١٩

تفاوتهم رضي الله عنهم في فهم معاني القرآن الكريم ١٩

أسباب ذلــك ٢٠

مزايا تفسير الصحابة رضي الله عنهم ٢١

منهجهم رضي الله عنهم في التفسير ٢٢

أشهرهم رضي الله عنهم في التفسير ٢٦

مدارس الصحابة في التفسير ٢٦

حكم تفسير الصحابي ٢٩

(ج) التفسير في عهد التابعين رحمهم الله تعالى ٣٠

منهجهم رحمهم الله تعالى في التفسير ٣١

مزايا تفسيرهم ٣٢

اشهر المفسرين من التابعين ٣٣

حكم تفسير التابعـــي ٣٣
(د) التفسير في عهد التدوين ٣٥
المرحلــة الاولى ٣٥
المرحلــة الثانية ٣٦
المرحلــة الثالثة ٣٧
المرحلــة الرابعــة ٣٨
اهم المؤلفات في عصر التدوين ٣٩
ثالثا: اختلاف المفسرين وأسبابه:
أسباب قلة اختلاف الصحابة في التفسير ٤١
بيان أن اختلاف السلف في التفسير هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ٤٢
انواع اختلاف التنوع ٤٢
أسباب الاختلاف ٤٤
أولا: أن يكون في الآية اكثر من قراءة ٤٤
ثانيا: الاختلاف في وجوه الأعراب ٤٦
ثالثا: احتمال اللفظ لأكثر من معنى ٤٦
رابعا: احتمال الإطلاق والتقييــد ٤٨
خامسا: احتمال العموم والخصوص ٤٩
سادسا: احتمال الحقيقة والمجاز ٥٠
سابعا: الإضمـــار والإظهـــار ٥١
ثامنا: النسخ والإحكام ٥٢
تاسعا: الاختلاف في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ٥٣
رابعا: أساليب التفسير
الفرق بين الاتجاه والمنهج والأسلوب ٥٥
أولا: التفسير التحليلي ٥٧
ثانيا: التفسير الإجمالي ٥٩
ثالثا: التفسير المقارن ٦٠
رابعا: التفسير الموضوعي ٦٢
صور التفسير الموضوعي عند السلف ٦٣

أنواع التفسير الموضوعي ٦٦

خامسا: طــرق التفســـير

انقسام طرق التفسير إلى قسمين ٧٠
أولا: التفسير بالمأثور ٧١
فضلــه ومكانتــه ٧١
أسباب الوضع في التفسير بالمأثور ٧٢
أنواع التفسير بالمأثور ٧٢
مصادر التفسير بالمأثور ٧٣
أوجه بيان السنة للكتاب ٧٦
حكم التفسير بالمأثور ٧٨
ثانيا: التفسير بالرأي ٧٨
المـــراد بـــه ٧٨
أقســامـــه ٧٨
التفسير بالرأي المحمود ٧٩
حكمـــه ٧٩
التفسير بالرأي المذموم ٨٠
حكمـــه ٨١

سادسا: مناهــج التفســير

أولا: منهج التفسير بالمأثور ٨٦
نشـــأته ٨٦
أسباب ضعف الرواية للتفسير بالمأثور ٨٧
تدو ين التفسير بالمأثور ٨٩
ثانيا: منهج التفسير الفقهي ٩١
نشأته وتطــوره ٩١
من المؤلفات فيه ٩٤
ثالثا: منهج التفسير العلمي ٩٥
آراء العلماء فيه ٩٦
أدلة المؤيدين ٩٧

أدلة المعارضين ٩٧
الرأي الراجـــح ٩٨
أهم المؤلفات فيه ٩٩
رابعا: منهج التفسير العقلي ١٠٠
نشـــأته ١٠٠
أدلة المانعين من التفسير بالرأي ١٠٠
أدلة المجـــيزين ١٠١
الرأي الراجـــح ١٠٢
أهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المحمود ١٠٣
أهم الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي المذموم ١٠٣
خامسا: منهج التفسير الاجتماعي ١٠٤
أهم المؤلفات فيه ١٠٥
سادسا: منهج التفسير البياني ١٠٦
نشـــأته وتطـــوره ١٠٦
أهم خطوات المنهج البياني ١٠٨
أهم المؤلفات فيه ١٠٩
سابعا: منهج التذوق الأدبي ١١٠
المـــراد بـــه ١١٠

سابعاً: اعـــراب القـــرآن الكريـم

تعريفه لغة واصطلاحاً ١١٤
أهمية هذا العلم ١١٤
نشأته وتطـوره ١١٥
ما يجب على المعرب معرفته ١١٦
أهم المؤلفات فيه ١١٨

ثامناً: غريـــب القـــرآن الكريـم

تعريفه لغة واصطلاحاً ١٢٠
موضوعـــه ١٢٠
أهميتـــه ١٢٠

نشأته وتطــوره ١٢٣
أهم المؤلفات فيه ١٢٥

تاسعاً: الوجــوه والنظائر

تعريفه لغة واصطلاحاً ١٢٧
موضوع هذا العلم ١٣٠
أهمية هذا العلم ١٣٠
نشأته وتطــوره ١٣٢
أهم المؤلفات فيه ١٣٤

عاشراً: قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر:

من أهمها: ١٣٦
أولا: كل عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه ١٣٦
ثانياً: العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ١٣٧
ثالثاً: اختلاف القراءات في الآية يعدد معانيها ١٣٨
رابعاً: المعنى يختلف باختلاف رسم الكلمة ١٣٩
خامساً: السياق القرآني ١٤٠
سادساً: التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة ١٤٢
سابعاً: تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي ١٤٢

حادي عشر: أهم المؤلفات في التفسير ومناهجه:

أولا: المؤلفات في التفسير ١٤٤
١ ـ المؤلفات في التفسير بالمأثور ومؤلفوها ١٤٤
١) جامع البيان: للطبري ١٤٤
٢) معالم التنزيل: للبغوي ١٤٧
٣) المحرر الوجيز: لابن عطية ١٤٨
٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ١٥٠
٥) الدر المنثور: للسيوطي ١٥١
٢ ـ المؤلفات في التفسير بالرأي ومؤلفوها ١٥٢
١) الكشاف: للزمخشري ١٥٢

٢) مفاتيح الغيب: للـرازي ١٥٤
٣) البحر المحيط: لأ بي حيان ١٥٥
٤) إرشاد العقل السليم: لأ بي السعود ١٥٦
٥) روح المعاني: للألـوسـي ١٥٧
٣ ـ المؤلفات في التفسير في العصر الحديث ومؤلفوها ١٥٨
١) محاسن التأو يل: القاسمي ١٥٨
٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ١٥٩
٣) تيسير الكريم الرحمن: لابن سعدي ١٦٠
٤) في ظلال القرآن: سيد قطب ١٦١
٥) أضواء البيان: الشنقيطي ١٦٣
ثانيا: المؤلفات في دراسة التفسير ومناهجه ١٦٥
منها اجمالا: ١٦٥
التعريف ببعضها ١٦٦
١) الإكسير في علم التفسير: الطوفي ١٦٦
٢) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ١٦٧
٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن: لابن سعدي ١٦٨
٤) بدع التفاسير: الغمـاري ١٦٩
٥) التفسير والمفسرون: الذهبي ١٧٠
فهـرس المصـادر ١٧٣
فهـرس الموضوعات ١٨١